

الدين والعلم في فكر زكي نجيب محمود

البحار

د/ منى أبو زيد

مقدمة :

يمثل الدكتور زكى نجيب محمود أهمية خاصة فى حياتنا العقلية والفلسفية ، فهو مفكر موسوعى من طراز نادر ، ومشقف كامل إذا جاز لنا هذا التعبير ، اتصل بالثقافة الإنسانية فى أعظم مصادرها منذ البواكير الأولى من حياته ، وكان قادراً منذ هذه المرحلة المبكرة على الفصل بين الموروث والوفاد فى الشخصية العربية ، بالإضافة إلى إدراك عميق لما أطلق عليه فيما بعد الأصالة والمعاصرة .

ويعد فكر الدكتور زكى مادة خصبة

يمكن دراستها من محاور متعددة ، ولعل محور الدين يمثل لنا دراسة ذات جاذبية خاصة لعدة أسباب منها :

١ - أن هذا الجانب فى فكر الدكتور زكى لم يحظ بالدراسة واللقاء الضوء عليه ، رغم العديد من الدراسات الجامعية والعامة التى كتبت عنه .

٢ - أن مفكراً عقلانياً مثل الدكتور زكى نجيب محمود لابد أن يعطى لفكرة الدين مفاهيم جديدة بالدراسة والتحليل ، وخاصة أن فكره فى هذا المجال تميز بالتطور والخضوع لمراحل فكرية متنوعة ومتابعة .

٣ - أننا وجدنا في كتابات الدكتور زكي ردودا وحلولا لقضايا ترتبط بالدين والعلم معا ، وحلولا لقضايا دينية نعيشها في حياتنا الحالية ، على الرغم من أن هذه الكتابات قد كتبت منذ سنوات ، مما يدل على أن المفكر الحقيقي هو الذي يستشعر الخطر قبل وقوعه ، وهو الذي يلاحظ المقدمات فينتبأ بالنتائج التي ستحدث بعد سنوات . وهذا بالفعل ما ظهر في كتاباته ، وخاصة ما تعلق منها بالجانب الديني .

٤ - أن التبلور الحقيقي لفكرة الدين عنده وإدراجه ضمن مشروعه الحضاري لم يظهر بشكل واضح إلا من خلال كتابته الأخيرة ، مما يؤكد أن عرضنا له هو عرض لآخر مراحل الفكرية ، فلا يخفى على أحد أن عملاقا مفكراً مثل زكي نجيب محمود لم يكن جامدا على فكرة واحدة ، وإنما تطورت أفكاره من خلال حياته ، ومن خلال تطبيقاته المتعددة .

وقد تطور دور الدين ودور الإيمان الديني في فكر د / زكي نجيب محمود عبر مراحل ثلاث يصفها لنا بقوله : «إنها رحلة حياته عبر الزمان وهي رحلة بدأت بمراهق يؤمن بإيمان السذج ، وانتقلت إلى شاب عرف قدر العلم ومنهاجه ، ثم

انتهت بشيخ ينعم بشيء من علم يضيئه إيمان»^(١) .

وهذا فعلا ما نلاحظه من خلال عناوين مؤلفاته ، ومن خلال مراحل الفكرية إذا ما تجاوزنا المرحلة التقليدية في حياته التي أصدر فيها أكثر ترجماته ، أما البداية الحقيقية في فكره ، فهي المرحلة العلمية ، التي ظهر فيها أخذه بالعلم ومنهاجه ، وتمثلت في مؤلفات مثل « المنطق الوضعي » و « خرافة الميتافيزيقا » و « نظرية المعرفة » و « حياة الفكر في العالم الجديد » و « نحو فلسفة علمية » وغيرها .

أما المرحلة التالية والتي ظهر فيها الوجدان إلى جانب العلم فكانت ابتداء من مجموعة مؤلفات أخرى أصدرها مثل « الشرق الفنان » و « تجديد الفكر العربي » و « المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري » .

ثم ظهرت المرحلة الأخيرة والتي اتخذ فيها الجانب الوجداني - والتي يمثل الدين حيزاً كبيراً فيه - مكانة أكبر من ذي قبل ، وهي مرحلة الشيخوخة بالمعنى المادى لا العقلى ، وهي المرحلة التي جمعت بين العلم والدين ، وتمثلت في مجموعة مؤلفاته الأخيرة مثل « أفكار ومواقف » و « قيم من التراث » و « في

تحديث الثقافة العربية « و « رؤية إسلامية »
و « بذور وجذور » و « عرّبي بين
ثقافتين » وكان آخرها كتاب حياته الأخير
« حصاد السنين » .

وفي هذه المرحلة أخذ الدكتور زكي
نجيب يطبق منهجه الذي وضعه في
مؤلفات الشباب على موضوع التراث ،
فأخذ في تطبيق منهجه العلمى وأدوات
التحليل اللغوى فى مجالات التراث ، وهنا
ظهر الدين بصورة أوضح وبدراسة أكبر
عن ذى قبل فى مؤلفاته .

٥ - أن الدكتور زكى قد قدم تعريفا
متميزاً للإنسان ، يختلف عن غالبية
التعريفات الفلسفية السابقة عليه ، يقوم
هذا التعريف على فكرة الدين ، فإذا كان
الفلاسفة والمفكرون اختلفوا فى تعريف
الإنسان ، باختلافهم حول الصفة المميزة
له ، سواء كانت هى النطق أو الوجدان أو
الإرادة ، فإن د / زكى يرى أن ما يصلح
أن يكون مميزاً للإنسان حقاً فهو إدراك
الربوبية فى الكون وما وراءه ، ومن هنا
كان الإنسان وحده دون سائر مخلوقات
الله هو الذى يعبد الله ^(٢) ، ولذا صح أن
يقال : إن الدين هو أشد تمييزاً للإنسان
من أى جانب آخر ^(٣) .

وهذا التعريف للإنسان يتشابه مع

التعريف الذى قدمه من قبل هيجل عندما
رأى أن الإنسان وحده هو الذى يمكن
أن يكون له دين ، فالتدين عنصر أساسى
فى تكوينه ، والحس الدينى إنما يكمن
فى أعماق كل قلب بشرى ، بل هو
يدخل فى صميم ماهية الإنسان ^(٤) .

ولأهمية هذه الفكرة أولاً فى المنظومة
الفكرية للدكتور زكى نجيب ، ولأهميتها
للإنسان عامة ، كان اختيارنا لهذا المنحى
من مناحى تفكير عملاقنا الفكرى ،
لعرضه ومعرفة أبعاده وعلاقته بأهم دعائم
فكره ألا وهو العلم .

أولاً : ما الدين ؟

يعرف د / زكى الدين بصفة عامة
بأنه هو « الذى يقدم إلينا المبادئ
الأساسية التى يسلك على هداها ، والثى
من شأنها أن تبلور لنا رؤية خاصة ،
وموقفاً معيناً من الكون والحياة بصفة
خاصة ^(٥) فكان لكل دين رؤية ، وإذا
كانت الأديان متعددة ، فإن الديانات
الثلاث السماوية - الإسلام والمسيحية
واليهودية - تكون أسرة واحدة أبوها
إبراهيم عليه السلام .

ويحاول د / زكى أن يقرب بين
الأديان السماوية الثلاثة عن طريق البعد
عن التفصيلات الدقيقة التى قد تختلف



من دين لآخر ، والتركيز على الأصول الأساسية التي يقوم عليها كل دين منهم ، ويرى أن هذه الأصول تتشابه ، لأن أساسها واحد هو « انتماؤها جميعا إلى سيدنا إبراهيم - عليه السلام - المؤمن بالله الواحد ، فجاءت الديانات الثلاث مؤمنة بالله الواحد على اختلاف بينها في التعبير^(٦) وهذه الاختلافات بين الديانات السماوية جاءت من الفروع التي ضخمتها أوهام التعصب .

هذا الإغراق في التفرعات ، وما أدت إليه من تعصب هو الذي أدى أيضا إلى ظهور اختلافات بين الفرق الإسلامية ، فظهرت فرقة أهل السنة ، وفرقة الشيعة وغيرها ، ثم انقسم المسلمين مرة أخرى إلى اتجاهات فقهية عديدة منها : مالك والشافعي وأبو حنيفة وابن حنبل .

ويرجع د / زكي السبب في اختلاف المسلمين إلى طوائف إلى ظروف البيئة والعقلية الإنسانية وليس إلى طبيعة الدين نفسه ، فلو نظرنا إلى خريطة العالم الإسلامي لوجدنا الشيعة مركزة في جانب ، وأهل السنة في جانب آخر ، وفي داخل فرقة أهل السنة نفسها نجد كل مذهب يتركز في قطر بعينه مما يدل على أن هذا الاختلاف يرجع « لعلوم البيئة المحلية في كل حالة ، مضافاً إليها

مؤثرات التاريخ في كل قطر اختلفت ظروفه عن الظروف في سائر الأقطار »^(٧) .

فاختلاف البيئة الطبيعية والتاريخية والثقافية بين شعوب الإسلام قد أدى إلى أن صورة الإسلام عند كل شعب كانت مختلفة بعض الشيء عن الشعب الآخر ، ويضرب د / زكي بذلك مثالا يقارن فيه بين إسلام إيران ، وإسلام مصر ، فثقافة وديانة الشعب الإيراني السابقة اختلفت عن ثقافة وديانة المصريين السابقة ، فدخل الإسلام عليهم ، فأعطى له كل منها مساحة من ثقافته ، فظهر الإسلام شيعياً في إيران ، وسنيا في مصر وليس هذه مصادفات .. بل لابد لمن كانت ديانتهم قبل الإسلام ملتفة بالألغاز والإحياء والرمز أن يكسوا العقيدة الجديدة بما يشبه هذا الذي ألفوه ، كما كان لابد لمن كانت ديانتهم قبل الإسلام متميزة بالاعتدال وإقامة البنين على قواعد واضحة أن ينظروا إلى الدين الجديد مثل هذه النظرة^(٨) .

ومن هنا اختلفت صورة الإسلام باختلاف الشعوب ، وإن كان يجمعها كلها روح واحدة ، فعلى الرغم من هذا التقسيم بين المسلمين ، إلا أنه يجمع بينهم رابطة مشتركة ، هي احتفاظهم جميعاً بأساس روحى واحد مشترك ، هو الذي يكون به المسلم مسلماً ، وهو

الإيمان بالوحي القرآنى والنبوة الخاتمة ، وهذا الأساس يكفل للمسلمين جميعا وحدة تغرق فى ظلها كل الاختلافات .

١ - الدين وعلوم الدين :

يفرق د/ زكى بين الدين كنصوص وبين المتدين وهو الإنسان المؤمن بهذا الدين وبين العلوم التى تدور حول هذا الدين ، وتقوم عليه فهناك دين أولا ، ثم يأتى التدين ثانيا ، وقد تأتى علوم تدور حول هذا الدين ، فيما بعد ، فالدين محصور فى نصوصه المحدودة ، ثم يأتى بعده طرفان ، طرف منها يؤمن بذلك الدين ، وهم من يصفون (بالتدين) ، وأما الطرف الثانى فهو (علم الدين) أو (علومه) التى تقام على تلك النصوص فتستخرج منها المبادئ والأحكام^(١) .

وهو يضع هذا العلم الدينى ضمن طائفة العلوم الرياضية ، التى تبنى نتائجها على مقدماتها المسلمة وكذلك رجل الدين يبنى نتائجه على مقدمات يأخذها من النصوص الدينية ، فهو علم يستخدم المنهج الرياضى ، وذلك لأن الباحث فيه يسير على خطوتين : الأولى فى علم الدين هى النص القرآنى الكريم ، والخطوة الثانية ، استخراج ما فيه من قوانين ، وعلم الدين لا هو (الدين) ولا هو (التدين) ، وإنما هو فاعلية عقلية تقام على الدين^(٢) ومن الممكن أن يوجد دين ومتدين يؤمن به ولا يعرف علوم الدين ، ويمكن لهذه العلوم ان تتعدد فيها الرؤى وأن يختلف أصحابها ، وهو فعلا ما نلاحظه فى (علم أصول الدين) فلكل طائفة فيه رؤيتها الخاصة له .

٢ - الدين ليس مجرد شعائر :

يشير د / زكى إلى أهمية أن ننظر إلى الدين الإسلامى على أنه ليس عقيدة وشعائر فقط بل هو عقيدة تثير مجموعة من القيم التى تشرى حياة الإنسان نحو حياة أفضل فى الدنيا والآخرة ، وهذا الربط بين الدين كعقيدة وقيمة ، وهو ما يحاول أن يؤكد بقوله : إن الإسلام مجموعة من القيم التى لا أحسب عاقلا على وجه الأرض يرفض شيئا منها من

ونرى حرص د / زكى فى التفرقة بين الدين وعلوم الدين ، ليؤكد أن (الدين) ثابت واحد لا يتغير ، لأنه نصوص منزلة من السماء ، أى أنها إلهية ، أما (علوم الدين) فهى كثيرة متعددة ، وهى رؤى إنسانية لهذا الدين ، وطالما هى علوم إنسانية فهى نسبية متغيرة ليس لها قدسية الدين نفسه ، وبالتالي يحتاج الإنسان دائما أن يطور من هذه العلوم بما يتناسب مع روح العصر الذى يعيشه



حيث هي مثل عليا . وربما وجدت بين من يرفضون (الإسلام) كفكرة مجردة من يعيشون تلك المبادئ بالفعل . وتجد بين من يعتقدون هذا الإسلام نفسه كفكرة مجردة من لا يعيشون من قيمه شيئاً ^(١١) .

فالدين ليس مجرد شعائر وعبادات وطقوس ، بل الدين معنى وراء كل هذا ، فهو عقيدة نعم ، ولكنه يحمل في داخله قيمة فالإيمان بالله يتضمن إيماناً بمبادئ هي مجموعة القيم أو مجموعة المعايير التي تضبط سلوكنا نحو أهدافنا ^(١٢) . ولذا يعيب د/ زكى كل من يتحول الدين عنده إلى مجرد صور شكلية لمجموعة من الشعائر التي هي أوامر إلهية يقوم بها المؤمن في شكل عبادات ، فليس هذا فقط هو المطلوب في الدين ، ولكن المطلوب من الإنسان فهم معنى العبادة وتحولها من عبادة شكلية إلى قيم عملية . أما هؤلاء الذين يفهمون من الدين أنه مجرد شعائر فإنهم يكونون قد قصرُوا فكرة العبادة على الأركان الخمسة ، التي هي الشهادة والصوم والصلاة والزكاة والحج ، وإذا اكتفى المسلمون بهذا فقد تحول الدين عندهم إلى حفظ وترتيل وتفسير فقط ، والواجب عليهم أن يتجاوزوا هذا إلى التنفيذ في صميم الميادين التي من أجلها تخلقت الأمة الإسلامية ، فإذا قرأنا

قوله تعالى في كتابه الكريم ﴿ قل سيروا في الأرض ﴾ [سورة النمل : الآية : ٦٩] فتكون العبادة الحقيقية لهذه الآية ليس ترتيلها فقط وإنما تطبيق هذه المعاني في دنيا العلم والعمل ^(١٣) .

وبهذه الرؤية الحقيقية لمعنى الدين ، نعود به إلى الصورة الأولى التي كانت سببا في نهضة القدماء عندما صنعوا الحضارة الإسلامية ، وتكون هذه الصورة هي إعادة للروح الدينية الصحيحة التي تحول الدين من مجرد كونه طقوساً آلية إلى كونه قيماً تدفع إلى العمل وتغير من السلوك الإنساني نحو الأفضل ، ونعود بالإسلام الصحيح إلى صورته النقية الصافية وكذلك بتحويل العقيدة إلى عمل ، أى تحويل الفكر من مجرد الفكر إلى الإرادة التي تخرج ذلك الفكر إلى مجرى السلوك ^(١٤) .

ويضرب د/ زكى لنا مثلاً يبين فيه كيف يتحول الفكر من كونه فكراً فقط إلى كونه فكرة باعثة إلى العمل بمثل لفكرة « الخوف من الله » فهذه الفكرة إذا وقفت عند مجرد أنها الفاظ تكررها الألسن فقط ، فلن تؤدي إلى تقدم ، فلو حولناها إلى دستور للعمل ، أو حولناها مجرد لفظة إلى حالة شعورية ، لهدت صاحبها وأفادته في ميادين نشاطه العقلي

والعملى .

معرفتها ، فسيبل معرفة الإنسان لربه
معرفته لمخلوقات ربه ^(١٦) .

وتتم معرفة الله عن طريق معرفة الكون
بجميع ما فيه وبمختلف علومه الطبيعية
وهكذا تتحول معرفة الله من كونها
محصورة فى الذات الإلهية إلى دعوة
جديدة للعلم ، ذلك لأن الوجود الحقيقى
لله متحقق فى كل شئ وإذا كانت
العبادة الحققة تفيد فى مجال العلم فهى
أيضا تفيد فى مجال المجتمع وحياة البشر ،
فيتحول الدين من كونه شعائر إلى كونه
قيماً يتربى عليها الإنسان ، فالتربية
الدينية نظام أخلاقى يرسم للمتمدين
طرائق السلوك الصحيح الذى يجعل منه
إنسانا كما أراد الله جل وعلا للإنسان
أن يكون ^(١٧) . فلا تستنفذ جهودنا فى
تعليم النشء التفصيلات الفقهية مع البعد
عن الأهداف الحقيقية ، لأن مثل هذا
التعليم سيصيب المسلمين بالضعف ،
وفى هذا يقول د/ زكى : « هل يحق لنا
.. بعد أن أصبح محور اهتماماتنا الدينية
تفصيلات شكلية عجيبة لاتمس روح
الدين وجوهره ، ولا تحرك الضمير الدينى
عند الإنسان من قريب ولا من بعيد ،
أقول هل يحق لنا بعد ذلك أن نسأل :
« ماذا أصاب شباب المسلمين ليصبحوا
على ما أصبحوا عليه من هزال وضعف

وهناك مثال آخر وقيمة أخرى
نستخرجها من الدين . كقول الرسول
(ﷺ) [إن الله يحب إذا عمل أحدكم
عملا أن يتقنه] فلو تحولت هذه الفكرة
التي تحفظ من مجرد كونها فكرة نقولها
ونحفظها ، إلى عادة سلوكية نمارسها
لصنعت الكثير فى مجال النهضة
والتقدم ، فإحياء روح الدين ، وقيم
الأسلاف ضرورة لا غنى عنها فى ترسيخ
الشعور القومى ، وتثبيت الهوية الخاصة
بنا » ^(١٥) .

فالمعنى الحقيقى للعبادة هى أن تتحول
من مجرد شعائر وعبادات موقوته بأوقات
معينة ، إلى كونها أنماطا سلوكية ، وقيما
أخلاقية تصاحب الإنسان فى كل وقت ،
فتصير عبادة ملازمة للإنسان فى كل
لحظات حياته ، وبذلك يحقق الوظيفة
التي خلق ليؤديها ، كما جاء فى قوله
تعالى ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا
ليعبدون ﴾ [الذاريات آية : ٥٦] أما
العبادة التي تنحصر فى صورة شعائر
ترتبط بأوقات محددة ، فليست هى العبادة
التامة ، لأن العبادة التامة هى عبادة
الإنسان لله فى كل وقت ، وهى ذكر
الله بدراسة مخلوقاته ، عن طريق

وانحراف» (١٨).

صومه وبعدئذ يكاد يستحيل على من يعرف أن يقتترف الأثم الذي هو الخطأ لأن من يعرف لا يخطئ» (١٩).

وبهذا يتحول الإنسان المؤمن إلى عابد في كل لحظة ، لأنه ممارس لقيمة هذه الفرائض في كل وقت ، فلا ترتبط شعائر دينه بوقت ، بل هو قبل الفريضة وبعدها مقيم لعبادته ، أما من يقصر دينه على مجرد أداء فروض وقتية كان « بمثابة من وضع عقيدته الدينية بين قوسين ، أما فيما قبل القوس الأول ، وبعد القوس الثاني ، فهو مطلق السراح » (٢٠).

فإذا لم تتحول هذه الشعائر الدينية إلى قيم وسلوك ، كان ما يفرق المؤمن من غيره فرقاً بسيطاً ، يقتصر على مجموعة حركات دينية ، أو كلمات جوفاء لا تؤثر في أصحابها ، وإذا لم تتجسد هذه الشعائر سلوكاً ومواقفاً في حياة الأفراد فقد الدين كل معناه ، إذ هو لم ينعكس في أوضاع الحياة العملية ، وبغير هذا التمثيل الحيوي لعقائدنا يصبح الفرق خافتاً باهتاً بين أن تكون موحداً ، أو لا تكون » فالعقائد لم يعتنقها أصحابها في الأصل ليخزنوها تحفاً في صناديق النفائس ، بل اعتنقوها لتكون هي المسارب التي تنسكب في أطرها عمليات الحياة كما هي واقعة» (٢١) ، وهذا الربط بين الدين كعبادة

ويأخذ د/ زكي في تطبيق فكرته هذه على فريضة من فرائض الإسلام وهي فريضة الصلاة ، ويبين كيف تتحول هذه الفريضة الدينية عند القائمين بها من كونها شعيرة دينية إلى كونها قيمة سلوكية تجعل الإنسان بعد إتمامها أقوى ، فإن آليات الصلاة في ذاتها حركات وكلمات لا تؤدي إلى الهدف من أدائها في ذاتها ، وإنما الهدف هو الترفع عن رجس الفحشاء ، والمنكر والبغى ، والذي يؤدي إلى هذا (فهم) المصلي لأسرار ما يقوله ويعمله ، فنقول له : إن قولك (الله أكبر) بمثابة من فتح باباً ليدخل منه إلى عالم آخر غير العالم الذي يحيط به ، إلى ملاقاته ربه ، فهي نقلة تنقله من عالم الفناء إلى عالم الخلود ، تنقله ليكون أمام إله (أكبر من كل كبير ، فإذا خرج الإنسان من صلاته ، وهو يشعر أن الله أكبر من أي سلطة أخرى ، لم يخرج لينافق سلطانه طلباً لمعونة ، أو رداً لعدوانه ، ولا ينافقه أحد لأنه تعلم من وقوفه في الحضرة الإلهية إن المعين واحد هو الله ، وأن الذي يرد عنه العدوان واحد وهو الله ، وهكذا في بقية الفرائض الأخرى ، فيعرف مقيم الصلاة ما صلاته ويعرف صائم رمضان ما

وقيمة ، وهو ما يجعلنا نبحث فى علاقة الدين بالأخلاق .

ثانيا : الدين مصدر للأخلاق :

يربط د/ زكى بين الدين والأخلاق ، ويعد الدين مصدرا للقيم الخلقية الثابتة ، فيقول : « من الوجهة الإنسانية الخلقية ، لا مناص للفرد من الناس إلا أن يجعل لنفسه مبدأ ما ، يكون هو الميزان أو الفيصل الذى يقرر له ماذا يختار فى كل مرة تتنازع فيها رغبات متعارضة ، والأغلب أن الدين هو مصدر تلك المبادئ التى تفصل بين الحلال والحرام »^(٢٢) .

وتعد الأخلاق طابعا مميزا للثقافة العربية والحضارة الإسلامية لأن ما يميز الحضارة الإسلامية عن غيرها من حضارات أخرى سابقة ولا حقة أنها تقوم فى أساسها على قيم خلقية ، وأنها بنيت على ركيزة أساسية هى « المبادئ التى ينبغى أن تحكم طرق التعامل بين الناس ، وتلك هى مبادئ الأخلاق »^(٢٣) .

كما تختلف المبادئ الأخلاقية عند المسلمين عنها عند غيرهم من حضارات أو شعوب أخرى ، ذلك أن مبادئ الأخلاق عند المسلمين ثابتة ومطلقة ، لأنها مبادئ منزلة من عند الله فى صورة الوحي ، فهى ثابتة بثباته ، مطلقة لا

تختلف باختلاف الزمان ، أو باختلاف المكان والبشر و « بينما أسس الحياة الحقيقية نراها نحن وكأنها هبطت علينا من السماء ، فقد يراها سوانا وكأنها نبتت لهم من جوف الأرض »^(٢٤) وعلى هذا تتغير عند الآخرين تبعا لتغير علومهم ، وبحسب تحقيق مصالحهم ، فالأخلاق عندهم حصيلة خبرات بشرية طويلة جعلت لهم وجهة نظر ، تجعل الإنسان جزءا من الطبيعة لا يعلو عليها ، وأما مبادئ الأخلاق فى تراثنا فهى مبادئ فرضت فرضا على الطبيعة البشرية لتعلو بها وتتسامى ، ومعنى ذلك أنه إذا حدث اختلاف بين ما تمليه علينا الغرائز ، وما توجه المبادئ الخلقية ، لم نتردد فى أن نجعل لهذه المبادئ أولية على تلك الغرائز^(٢٥) .

هذه النظرية الخلقية هى التى تميز العربى ، وهى من أخص خصائصه ، وهى التى تحدد وجهة نظره وإيمانه فى أن الحضارة الصحيحة إنما تدار على محور الأخلاق ، وأن يقوم التعامل بين الإنسان وربه ، أو الإنسان وغيره على أنماط رسمتها السماء لأهل الأرض وحيا عن طريق أنبيائها ، فالقيم الأخلاقية فى غير العروبة قد يجعلونها أدوات لسعادة الإنسان ، أو وسائل لمنفعته ، وأما جوهر العروبة فهو اعتقادها بأن الخالق يشاء

فيأمر ، والمخلوق يطيع ^(٢٦) .

ثالثا : الإسلام آخر الديانات لاعتماده
على العقل

يتساءل د . زكى فى بداية بحثه لهذه
الفكرة عن السبب الذى جعل من الدين
الإسلامى آخر الديانات ظهوراً ، هل ذلك
لأن حياة الإنسان بعد ظهور الإسلام لن
تتعرض لأى أمر مشكل لم يرد له حل فى
آيات الكتاب الكريم ؟ أم أن حياة الإنسان
لن تفرز مشكلات جديدة مع كل يوم
جديد ؟ وكانت إجابته أن القرآن قد جاء
بحلول لطائفة كبيرة من مسائل الحياة ،
إلا أن هذه الحلول لن تكفى الإنسان عبر
العصور ، لذا أمر الإسلام الإنسان بأن
يركن إلى عقله بعد ذلك كلما جد له
فى حياته جديد ، ومن هنا كان الإسلام
آخر الرسالات ^(٢٩) .

وقد عرض د / زكى لهذه الفكرة
وبحثها فى العديد من كتبه مثل (فى
تحديث الثقافة العربية) و (مجتمع جديد
أو الكارثة) و (بذور وجذور) و (رؤية
إسلامية) وغيرها ، ويؤكد فيها كلها
على أن الإسلام آخر الديانات لاعتماده
على العقل قائلاً : « أن عقيدة المسلم هى
أن الإسلام دين لكل زمان ولكل مكان
... والأساس الذى يؤيد صدق عقيدة
المسلم فى دينه هو استناد الإسلام إلى
العقل ليكون أداة الإدراك » ^(٣٠) .

إلا أنه ليست كل ما ندين به الآن من
قيم أخلاقية مصدرها هو الدين وحده ،
بل يضاف إليه بعض المبادئ التى جاءت
من مصادر أخرى مثل العرف والتقاليد ،
فالمبادئ الخلقية إذن نوعان : مجموعة
نزلت وحيا لا يتم الإيمان بالعقيدة الدينية
إلا بالإيمان بها ، ومجموعة أخرى نشأت
من واقع الحياة الإنسانية ، فيصبح من حق
الإنسان أن يغيرها إذا تغيرت صورة حياته
العملية ^(٢٧) ، وهذه المبادئ المتغيرة هى جزء
من تراث الاجداد سواء كانت من تقاليد
أسرية أو طبيعية وبيئية .

فمصدر الأخلاق عند المسلم هى دينه
وترائه ، اللذان يحددان له المبادئ الخلقية
ومعاييرها التى يلتزم بها ، فإذا بحثنا فى
جانب الأخلاق - يؤكد د / زكى - أنه
يجب ألا نلجأ إلى دراسته فى دراسة غربية
قديمة أو معاصرة ، بل نتوجه بدراسته إلى
اتجاه يعد هو المنبع الأساسى الذى نستمد
منه قيمنا الإنسانية ، فإذا أردنا أن ننشئ
للإنسان الحديث شخصية متكاملة ، التبع
الأساسى لهذا الإنسان ، هو التراث العربى
بما يحمله من قيم ^(٢٨) .

فالديانات قبل الإسلام تعددت ، لأن كل دين قبل الإسلام . كان يأتى ليحل للإنسان مجموعة المشكلات التى تراكمت فى حياته ، وعندما جاء الإسلام ، كان العقل الإنسانى قد نضج ، وبذلك قد أحال القرآن الانسان إلى عقله ، لكى يحل جميع ما سوف يلقيه فى حياته المستقبلية من مشكلات فى ضوء القيم الثابتة المستمدة من الوحي ، فلم يعد هناك احتياج إلى دين آخر ، لأن الخليفة هنا والإمام فى حل مشكلات كل إنسان هو عقله ، ولذا عندما يقارن د / زكى بين أهمية وجود إمام يرشد الإنسان لحلول دينه ، وبين وجود عقل يرشد الإنسان لهذه الحلول ، يختار العقل ، لأنه الألتصق بالإنسان فى كل جزئيات حياته ، وبهذا تصح الحقيقة القائلة بأن الإسلام آخر الديانات ، لأن الإسلام جعل التحكيم للعقل ، ولم يجعله للتقاليد ، إذ لو كانت التقاليد هى مدار الحكم فيما يجوز وما لا يجوز ، لكان الناس بحاجة إلى رسول جديد كلما اقتضت ظروف الحياة الجديدة معايير جديدة » ^(٣١) أما الإسلام فجاء بمعياره الإدراكى فى كل إنسان ، وهو عقله عندما نضج هذا العقل وتأهل لذلك .

ويشرح د / زكى مفهومه لمعنى

« النضج العقلى » ويرى أنه يعنى « القدرة على تمثيل المبادئ التى نزل بها الإسلام ، والتزامه فى استدلالاته العقلية بعد ذلك كلما أراد لنفسه هداية فى دنيا السلوك » ^(٣٢) ، فالمصادر الإسلامية محددة فى مصدرين هما : القرآن الكريم والسنة النبوية ، ويأتى العقل ليكمل دور الفهم والتطور وحل المشكلات التى قد تظهر للناس فى حياتهم المتغيرة وجزئياتها ، وهذا النضج العقلى له صفات معينة هى :

أ - قدرة الإنسان على إدراك الواقع إدراكاً يمكنه من إقامة أحكامه على أساسه .

ب - القدرة على استخلاص المعانى المجردة من ذلك الواقع الذى عرفناه ، فنستخلص أفكاراً نظرية ، كما يستخلص العلماء قوانين العلم .

ج - القدرة على تقدير النسب الصحيحة بين الأشياء من حيث كميتها وقيمتها ، بالقياس إلى غيرها .

د - القدرة على تحليل الأفكار ، خصوصاً ما هو مؤثر وفعال منها فى حياة الإنسان ، تحليل لا يراود به فقط أن يكون الإنسان على علم تفصيلى بمعنى الفكرة بل يراود بها كذلك ألانقع فى الخطأ الذى يميل بصاحبه إلى الحكم على موقف



معين بأحد ضدين متجاهلا درجات الطيف التي تملأ بين الضدين^(٣٣) وهذا الخطأ هو الذي يؤدي بالإنسان إلى التطرف .

رابعا : العلاقة بين العقل والدين :

إذا كان د / زكى قد صرح فيما قبل أن المصدرين الأولين للدين الإسلامى هما القرآن والسنة ، وأن العقل المصدر الثالث ، فمتى يستخدم الإنسان هذا المصدر الثالث فى مجال الدين ؟ .

يرى د / زكى أن الإنسان يستخدم العقل فى مجال الدين متى استعصت عليه مشكلة لم يرد فيها حكم القرآن الكريم ، أو فى توجيهات النبى عليه الصلاة والسلام^(٣٤) ، ولكن ماذا يحدث إذا تعارض العقل مع النص الدينى ؟ .

هنا يأخذ د / زكى بالاتجاه الذى سبق أن نادى به كثيرون فى مجال الفكر الإسلامى ، وهى محاولة التوفيق بين العقل والدين ، وهذه المسألة التوفيقية ليست قاصرة فى فكر د / زكى على هذا الجانب فقط ، جانب العقل والدين ، بل تجده يطبقها فى أكثر من مجال وعلى أكثر من مستوى ، فيوفق بين العقل والوجدان ، والأصالة والمعاصرة ، والموروث والوافد ، والقيم والعلم ، فهذه المسحة

التوفيقية هى أبرز ما يتميز به فكره فى آخر مراحل تطوره .

وقد أخذ بدعوة التوفيق بين العقل والدين كثيرون ، فمن القدماء كان الغزالى الذى رأى وجوب التوفيق بين العقل والنص (أو ما يسمى بالنقل) قائلا « إننا إذا وجدنا نصاً من نصوص الشرع لا يتفق معناه الظاهر مع حكم العقل ، علمنا أنه لا بد أن يكون لذلك النص معنى غير معناه الظاهر ، ووجب علينا أن نحاول تأويله تأويلا يخرج منه المعنى المعقول عقلا ، وللغزالى معيار فى التأويل وهو ما دل نظر العقل ودليله على بطلان ظاهره ، علمنا أن المراد غير ذلك^(٣٤) .

كما يشيد د / زكى بمحاولة ابن رشد أيضا للتوفيق بين العقل والنص الدينى ، ويحاول أن يستفيد من محاولته فى تطبيقها على عصره الآن ، من حيث أن عصر ابن رشد وعصر د / زكى كليهما متفق على أن شريعة الإسلام هى بمثابة الأساس فى بنیان الفكر العربى ، ثم وفد إلى الفكر من خارج الحدود فكريا مؤسس على العقل (هو فلسفة اليونان فى الحالة الأولى ، وهو علوم

وبهذا التصور وضع أسس نهضتنا الحديثة ، ذلك أنه وضع العقائد الأساسية في الإسلام توضيحاً يبين استنادها إلى العقل ، فجعل الأصل الأول لهذا الدين هو النظر العقلي ، وعنده أن هذا النظر العقلي هو وحده وسيلة الإيمان الصحيح قائلاً « إن الإسلام يقاضينا إلى العقل ، ومن قاضاك إلى حكم فقد أذعن إلى سلطانه والأصل الثاني فهو تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض ، فإذا تعارض العقل وظاهر الشرع أخذنا بما يدل عليه العقل ، محاولين بعد ذلك تأويل ذلك الظاهر تأويلاً يعطيه من المعنى ما يتفق مع أحكام العقل ^(٣٦) .

وإذا كان د / زكي يبدى إعجابه بمحاولات السابقين للتوفيق بين الدين والعقل ، إلا أنه يضع لكل منهما مجاله الذي يجب ألا يتجاوزه ، وإن كان يمكن لكل منهما أن يخدم الآخر بالتأكيد على ما يدعو إليه ، دون أن تنقلب موازين القياس في كل منهما ، وهو يلخص رأيه هذا في قوله : « إننا إذ ندعو مخلصين إلى العقلانية الصارمة في شئون حياتنا ، فلسنا نريد لهذه الدعوة أن تتناقض مع ذلك الجذر الديني العميق في نفوسنا ، لأنه بينما نريد للعقل أن يتولى الشئون العابرة الظاهرة من حياة الإنسان ، نترك للنظرة الدينية الثابتة الراسخة في نفوسنا

عصرنا الحاضر في الحالة الثانية) فإن صح هذا التشابه بين العصرين في البنية مع الاختلاف البعيد في المادة الفكرية المعروضة ، كان لنا في هذه المحاولة ما نهتدى به في حياتنا الثقافية ، فالعناصر الأساسية في كلا الموقفين هي شريعة يتمسك بها الجميع ، ونتاج عقلى وافد من خارج ، فما هو متفق مع ما ورد في الشريعة فلا إشكال ، وأما المسكوت عنه في الشريعة فلا إشكال أيضاً ، وأما المناقض في ظاهره مع الشريعة فله حل ، فلو كان ابن رشد بيننا يؤدي المهمة نفسها التي أداها في زمانه لحاول أن يدحض منطق الرافضين وأن يبين أن مواضع الاختلاف لا تعدو أن تكون اختلافاً في التسمية مع اتفاق في مضمونه ^(٣٦) ، أى أنه دين من جهة وعقل من جهة ، وهذا تأكيد للنقطة التي سبق وأن عرضناها وهي أن الإسلام دين العقل .

ويشير د / زكي إلى أن هذه الدعوة قد تبنّاها أيضاً أحد المفكرين المحدثين ، وهو الإمام محمد عبده الذى رأى أنه إذا تعارض النص مع العقل ، يلجأ إلى التأويل ويجعل للعقل دوراً في تأويل النص ، وكان محمد عبده بهذا الرأى واحداً من أهم رجال الإصلاح الدينى ،

تحديد القيم لما يخلد ويدوم ، والخلط بين هذين المجالين هو الذى يؤدى إلى سوء التفاهم^(٣٨) فالإنسان مطالب أن يفهم بعقله أمور دينه ، وإن كان يعسر عليه فى بعض الأحيان أن يكشف عن كل أسرارهِ ، إلا أن الدين منزل للإنسان العاقل والمكلف به العاقل ، فلا بد أن يستفيد بعقله فى فهم دينه .

ولأهمية العقل فى مجال الدين يبدى د/ زكى إعجابه بإحدى الفرق الإسلامية فى علوم الدين وهى فرقة المعتزلة ، لأنها فرقة جعلت العقل مقياساً فى حكمها على الأمور ، ولذا يرى إمكان تمثيل منهاجها والاستفادة منهم فى حياتنا المعاصرة ، فيقول : « إن أهم جماعة يمكن لعصرنا أن يرثها فى وجهة نظرها - بغض النظر عن الموضوعات - أن يرثها فى طريقها ومنهجها عند النظر فى الأمور ، هى جماعة المعتزلة التى جعلت من العقل مبدأها الأساسى كلما أشكل أمر »^(٣٩).

إلا أنه لا يطلق لأداة العقل أن تتدخل فى كل جزئيات الدين ، محاولة إثباته أو تأويله ، بل يرى ضرورة أن يكون للعقل حدود يقف عندها فى بعض جزئيات الدين ، فإذا كنا مطالبين بالتعقل فى أمور الدين ، إلا أن هناك أموراً يصعب علينا

إقحام العقل فيها ، لذا فهو يضيف إلى منهج المعتزلة فى ضرورة إستخدام العقل فى مجال الدين ، منهجاً آخر هو منهج الأشاعرة « فمن المعتزلة نأخذ طريقتهم العقلية ، ومن الأشاعرة نأخذ الوقوف بالعقل عند آخر حد نستطيع بلوغه »^(٤٠).

وينتهى د/ زكى من ذلك إلى اعتبار العقل أحد المصادر الإسلامية إلى جانب القرآن والسنة ، وبالتالى كان من أهمل عقله كأنه أهمل أحد مصادر دينه ، ومن هنا صار العقل ، أى إعمال العقل فريضة إسلامية يدعو إليها الدين ، وهو ما سبق أن قال به العقاد من قبل عندما اعتبر أن إصلاح الفرد يكون باعتبار التفكير فريضة إسلامية ، ومن أجل تحقيق هذا الغرض ، وضع كتاباً يحمل نفس الفكرة عنواناً له قال فيه : إن للقرآن مزية واضحة هى التنويه بالعقل والتعويل عليه فى أمر العقيدة وأمر التبعة والتكليف^(٤١) .

ويشرح د/ زكى ما المقصود بالعقل الذى أوكل الدين له القدرة على أن يحل للإنسان كل ما يلاقيه فى حياته المستقبلية من أمور لم يرد فى الشريعة نص بها ، فالعقل المقصود هنا هو العلم « فكل مشكلة هامة تعترض حياتنا هى بمثابة موضع يختص به علم معين أو مجموعة علوم ، وما دام الأمر فى تدبير

الدين^(٢٣) ، فأخذ د/ زكى فى توضيح هذه المسألة من خلال نقطتين :

الأولى : أن الفلسفة عنده علم لأنها تحليلات عقلية تنصب على ما تريد أن تعرفه ، ولذلك فهى فى ضرورة تغييرها إنما تلاحق العلم فى ضرورة تغييره عصرا بعد عصر^(٢٤) .

الثانية : أن الدين ليس ميتافيزيقا ، وقد خلط البعض بعد ظهور كتاب (خرافة الميتافيزيقا) بين الفلسفة والدين ، فتصوروا أنه عندما نعتها باسم الخرافة ، فالمقصود منها الدين ، فى حين أنهما موضوعان مستقلان تماما^(٢٥) .

فالميتافيزيقا تطلق على أى بحث عقلى يريد به صاحبه أن يتعقب موضوعا ما إلى أن يصل إلى يناعيه الخافية على العين ، أى أنه يضع لنفسه فى بداية طريقه (مبدأ) معيناً ينطلق منه معتقدا فى صواب ذلك المبدأ ، وليس لديه سند يرتكز عليه فى ذلك الاعتقاد ، أما العقيدة فأمرها مختلف كل الاختلاف ، لأن صاحب الرسالة يقول للناس : إني أقدم رسالة أوحى بها إلى من عند ربى لأبلغها ، ولا يكون مدار التسليم بالرسالة برهانا عقليا ، بل يكون مدار التسليم هو تصديق صاحب الرسالة فيما يرويه وحيا من ربه ، أى أن مدار التسليم هو الإيمان^(٢٦) .

الحياة قد أحيل فى الإسلام إلى عقل الإنسان وعلمه ، ففيم تكون الرسائل الدينية بعد ذلك ، أنها رؤية إسلامية تنظر إلى الإسلام من ناحية إقراره لعقل الإنسان ، وأحكام ذلك العقل فى استدلالته ، إذا ما التزم فيها منهج العلم^(٢٧) ومن هنا نتقل إلى النقطة التالية التى نتناول فيها علاقة الدين بالفلسفة من جهة والعلم من جهة أخرى .

خامسا : علاقة الفلسفة بالدين :

يشير د/ زكى إلى كون الفلسفة أقرب إلى طبيعة العلم منها إلى طبيعة الدين ، وهذا طبيعى عنده طالما أنه أعتبر الفلسفة الوحيدة المقبولة عنده هى فلسفة العلم ، أو الفلسفة التى تخدم مجال العلم .

وهذا التصور لوظيفة الفلسفة هى ما أدت به أن يهاجم أحد ميادين الفلسفة التقليدية وهو ميدان « الميتافيزيقا » وخرج البعض ناقما وناقدا له على اعتبار أن الميتافيزيقا قريبة من الدين ، لأنها بحث فيما وراء الطبيعة ، أى بحث فى الغيب ، وأن الدين يبحث أيضاً فى الغيب ، فقد سبق لارسطو أن رأى أن موضوع الميتافيزيقا هو دراسة العلل أى دراسة الإله عند المتدينين ، فمن هنا كان المتصور عند من نقسـد د/ زكى أنه بإنكاره للميتافيزيقا كأنه أنكر ضرباً من ضروب

الفيلسوف من جزء إلى جزء آخر ، وهو مرهون كذلك بقدرته على ما يقدم من تفسيرات للكون والكائنات .

د - اختلاف الوظيفة : يقدم الدين للإنسان خطة حياة فى هذه الدنيا ، وتمهيداً للحياة الآخرة ، وتلك الخطة إذا ما ارست قواعدها فى حياة الناس فهى تصبح ركيزة إيجابية ، بالإضافة إلى المقومات الأخرى عند الناس من فنون وعلوم وآداب وأعراف وتقاليده ، أما الفلسفة فهى مختلفة عن ذلك كل الاختلاف ، لأنها تبدأ فعلها بعد أن يكون المجتمع قد أقام مقوماته السابقة ليحيا فى إطارها ، فالفلسفة تصب فاعليتها بعد وجود الظاهرة وليست قبلها ، فكان الفرق بين الإنسان فى المجالين أنه بأحدهما يحيا حياة الدين ، وبالأخرى يتناول الظاهرة بالدراسة^(٤٧) .

سادسا : علاقة العلم بالدين :

إذا كان للدين مكانة هامة فى حياة المسلم ، فيجب عليه أن يلتزم بما يدعو إليه الدين ، فالدين يدعو إلى المعرفة والتعلم ، ويدعو بداية إلى أن يكون إيمان الإنسان بربه إيمانا عن طريق المعرفة ، وبالنظر فى مخلوقات الكون ، أى أننا بعلمنا للكون يكون علمنا بالله ، وهذا

ومن أجل تقرير هذا الاختلاف بين الفلسفة والميتافيزيقا من جهة ، والدين من جهة أخرى ، يعقد د/ زكى مقارنة بين الفلسفة والدين ليسبين أوجه الاختلافات بينهما ، وهو يحصرها فى النقاط التالية :

أ - ان البناءات الفلسفية القائمة على مبادئ ميتافيزيقية تتعدد بتعدد أصحابها ، أما فى حالة الدين فالأمر مختلف ، لأن البناء الدينى قائم على وحى منزل « وليس من حق أحد آخر أن يبنى ديناً على شئ آخر من عنده هو ، اللهم إلا إذا كان خارجا على هذا الدين ، فالبناءات الفلسفية تتعدد بتعدد أصحابها ، ويظل البناء الدينى واحدا لوحداية الموحى به ، والموحى إليه .

ب - اختلاف المصدر بينهما : فمصدر الدين وحى يوحى إلى نبي أو رسول ، أما الفلسفة فهى قائمة على رؤى يحدس بها إنسان من البشر ، قد تكون صادقة ونافعة ، أو باطلة لا تنفع .

ج - اختلاف التلقى : فالمتلقى لدعوة دينية ما ، إما أن يصدق الدعوة أو لا يصدقها ، فيكون إما مؤمنا بالرسالة ، أو غير مؤمن ، أما فى الفلسفة فالقبول أو الرفض أو التعديل مرهون بمراجعة الاستدلالات المنطقية التى ينتقل بها

حياتنا قد اغناه الدين بما يكفيه»^(٤٩) أما العلم فأداته العقل .

فإذا كنا من قبل قد فرقنا بين مجال الدين ومجال العقل ، فى بعض جزئياته ، فإن الدين أيضا إذا كان قائما على العلم ، فهو يفترق عنه أيضا فى بعض جزئياته ، وإذا أردنا علاقة بينهما كان علينا أن «نجعل الدين موكولا إلى الإيمان ونجعل العلم موكولا إلى العقل دون أن نحاول امتداد أى الطرفين ليتدخل فى شئون الآخر»^(٥٠) إلا أنهما معا يجتمعان فى الإنسان الواحد ، فهما جانبان معبران عنه ، لأن الإنسان هو عقل ووجدان ، علم ودين .

وإذا كان بينهما اختلاف ، إلا أنهما معا أعطيا الإنسان سعادته ، لأنهما معا يحققان للإنسان اكتماله ، فالإنسان كائن يعيش على دعامتين : العقل والوجدان ، ولا يستطيع أن يستغنى بإحدهما عن الآخر ، إلا أن الناس قد افترقوا بينهما إلى طرفين ، وتطرف كل طرف منهما منحازا إلى رأي ، فأحدهما يقول : إن الدين هو الأساس ، وأن آراء السلف هى الواجب اتباعها وتشبهوا فى ذلك بالأصالة والتراث ، أما الطرف الآخر ، فقال : إن العلم هو الأساس ، وإن الحضارة الغربية هى الواجب اتباعها

المنهج العقلى لإثبات وجود الله تعالى ، هو منهج دعا إليه القرآن عندما دعانا إلى النظر فى الأرض والسموات وملاحظة ظواهر الطبيعة ، وهذا هو البرهان الواضح للتدليل على وجود الله ، لكى يؤمن به البشر جميعا .

فالعلم جزء من الدين الإسلامى ، ودعوة من الدين نفسه إلى المؤمنين به ، وهذا ما يشير إليه د/ زكى بقوله « فلما جاء الإسلام آخر الديانات التى نزلت على نبي ورسول جعل العلم جزءا من الدين ، فجزء من دين الإسلام لا يتجزأ أن يكون المؤمن ذا علم بما حوله من ظواهر الكون ، ومثل هذا العلم الذى يستهدف عبادة الله سبحانه وتعالى بمعرفة خلقه معرفة تمكن صاحبها من الإمام بقدر المستطاع بمعجزات هذا الخلق»^(٤٨) .

وإذا كانت دعوة الدين هى إلى العلم ، إلا أن لكل منهما مجاله الخاص وأداته الخاصة ، فالدين جزء يدخل ضمن ثقافة أى شعب ، أما العلم فهو عالمى ، لا يرتبط بجنسية معينة ، والدين أداته القلب ، فيدخل ضمن الجانب الوجدانى من الإنسان ، وفى هذا يقول د/ زكى إن « سائر المراتب الثقافية من فن وأدب مدارها آخر الأمر هو الجانب الوجدانى ... فإن الجانب الوجدانى فى

وتشبهوا في ذلك بالمعاصرة .

ويرفض د/ زكى تطرف كل اتجاه منهما ، لأنه ليس بالمعاصرة وحدها يعيش الإنسان كما أنه ليس بالدين والسلف وحده يحيا الإنسان ، فوجه نقده إلى كل طائفة منهما مفضلا الصيغة التي تجمع بين الأصالة والمعاصرة ، بين الدين والعلم .

أ - الدين وحده لا يكفي :

ينتقد د/ زكى الاتجاه الذى يقصر حياة الإنسان وتقدمه على الدين وحده ، ويرى أن هذه الدعوة منافية لروح الدين نفسه القائم على العقل ، الداعى إلى العلم ، وقد تبنى هذا رأى جماعة يسميهم بالسلفية ، وليس المقصود بالسلفية هنا مذهباً معيناً فقط ، وإنما هو يطلقها على كل من يعيش فى حياته المعاصرة وهو ينظر إلى الوراء ، فىرى الحق هو ما قاله الأسلاف فى العلم والفكر « فهم يتحدثون عن ضرورة البقاء مع السلف فى حياة واحدة مستقطبين من الحساب فعل الزمن »^(٥١) .

ويصف د/ زكى الإنسان فى مثل هذه الدعوة بصورة (دون كيخوته) الذى قرأ كتب السلف عن حياة الفرسان وحفظ ما قد قرأ ، ولم يفد منه شيئاً ، ولم يضيف إليه شيئاً ، ثم رسم حياته

على نمودجه^(٥٢) وكأن هذا الإنسان منفصلاً تماماً عن حياة عصره ، وإذا كانت حياة عصرنا تشملها روح العلم ، فجاء هؤلاء السلف كارهين للعلم والحضارة الغربية .

وتتمثل كراهية هؤلاء السلفيين للحضارة والعلم فى صيحات تدعو إلى حياة دينية تنفصل عن الواقع فى حديثهم عما اسموه (بالغزو الثقافى) ، فى حين أنهم يقولون بالسلفية ويعيشون بالمعاصرة ، ويصف د/ زكى هذا النمط من الناس بأنه يعيش حياة مزدوجة فيحيون أمام الناس وكأنهم مدثرون بذنار السلف ، ثم لا يفوتهم فى الخفاء أن ينعموا بطيبات العصر وحضارته^(٥٣) .

وهؤلاء السلفيون الذين ينكرون الحضارة المعاصرة ، وينكرون علومها معتقدين أنهم بهذا الإنكار يخدمون الدين ؟ هم خاطئون فى فهمهم لحقيقة هذا الدين ، لأننا « ندين بدين يكرر لنا الحض على قراءة خلق الله ، من زرع وحيوان ونجوم ومطر ونبات . إلى آخر الظواهر الطبيعية التى ساقها آيات الكتاب الكريم »^(٥٤) .

ويشير د/ زكى إلى خطورة هذه الدعوة على مستقبل الإسلام والأمة العربية لأننا إذا نشرنا « التشكك فى

ب - العلم وحده لا يكفى :

هذا القول لم نسمعه من الدكتور زكى إلا فى كتاباته الأخيرة ، أما فى كتاباته السابقة التى بدأ بها مرحلته الفكرية منذ الأربعينيات حتى بداية الستينيات ، كان يرى أن العلم وحده يكفى ، ومنذ أول الستينيات بدأ يدخل الوجدان ، وظهر فى كتابه (الشرق الفنان) مساحة للوجدان فى بناء الحضارة ، وأخذت مساحة الوجدان الذى يشغل الدين جزءاً كبيراً منه تتسع حتى أصبحت دعامة رئيسية بجانب دعامة العلم الرئيسية فى تشكيل الحضارة .

وأخذ هذا التغيير يبرز بصورة أكبر فى كل مؤلف بعد كتابه (الشرق الفنان) حتى إن هذا الملمح قد غير من صورة د/ زكى الفكرية عند الكثيرين مما دعا البعض أن يسأله قائلين « ألا ترى أن موقفك قد طرأ عليه فى الفترة الأخيرة تغير حاد ، فبعد أن كنت تدعو فى إصرار إلى منطق العقل وما يتبعه من حقائق ، ثم ما يترتب على العلم من صناعة ، أخذت تولى من نبرة القلب ، وما ينبع منه على طريق العقائد والمشاعر ؟ » (٥٦) .

وبجيب د / زكى عن هذا السؤال معترفاً بهذا التطور قائلاً : « اعترف هنا بأننى قد سرت الطريق على مرحلتين ،

حضارة العلم والصناعة التى هى حضارة هذا العصر ، فكأننا أشعنا دعوة إلى الجمود ، بل دعوة إلى العودة إلى وراء ، حيث لا علوم ولا صناعة ولا أجهزة ولا آلات ، فإذا كانت حضارة الغرب قد بدت وسائل بغير أهداف ، فحياتنا هى أهداف بلا وسائل وقد كان الأمل إذا ما قويت أعوادنا علماً وصناعة ازددنا اقتراباً من حياة القوة عند المسلمين الأوائل ، فتتكمّل لنا الحياة كما تكاملت لهم وسيلة وهدفها » (٥٥) .

فقد استطاع المسلمون الأوائل أن يقيموا الحضارة لأنهم كان لهم بدينهم أهدافاً لم تمنعهم من الاطلاع على مصادر العلم ومعرفته وتقاليده ، ثم بالإضافة عليه ، فأخذوا العلم عن اليونان والهنود ، وحاولوا أن يقربوا بين العلم والدين ، أو ما عرف عندهم بصيغة التوفيق بين الفلسفة والدين ، وبهذا التوفيق قدموا حضارتهم المزدهرة ، فما تغير الآن إلا الأسماء فقط ، فتغيرت الفلسفة إلى علم ، وتغيرت فلسفة اليونان إلى العلم الغربى ، ولكى تقوم للمسلمين حضارة جديدة يجب عليهم أن ينتهجوا نفس الوسائل التى جرى عليها المسلمون الأوائل ، بأخذ التقدم العلمى من الآخرين .



كان لى فى المرحلة الأولى تصور معين ادخلت على ذلك التصور تعديلا فى المرحلة الثانية ، وليس فى هذا التحول ما يعيب أحداً ، إلا من تشبث برأيه حتى ولو ظهر بطلانه ، فأما المرحلة الأولى من حياتى الفكرية ، فكنت فيها لا أجد بديلا لصورة الحضارة الغربية كما هى فى عصرنا ، لأنها هى حضارة القوة والعلم والإبداع والمغامرة وتحقيق السيادة على الطبيعة ، لكننى عدت بعد تلك المرحلة الأولى ، فرأيت أنها وإن تكن ضرورية ضرورة الحتم ، إلا أنها ليست وحدها كافية ، إذ لابد أن تضيف إليها كل أمة ما يميزها من سمات ثقافية^(٥٧).

ولا يخفى د/ زكى هذا التغيير بل يعلنه صراحة ، ويرى أنه كان مثله مثل أكثر مثقفى عصره الذين رأوا فى الغرب المثال الأعلى للتقدم ، معتقدين أن « من علامات القوة والصحة أن نضع أنفسنا مع العصر فى مركب سيره لأنه عصرنا ، ولكنها كانت علامات ضعف ومرض أن ننسى أننا إنما كنا ننقل إلى أنفسنا غذاء يزيد من شعورنا بهويتنا الأصلية هو غذاء لابد منه لا نستغنى عن شئ منه ، إلا إذا أردنا لأنفسنا انتحارا حضاريا ، ولقد كنت لفترة طويلة واحدا من أولئك الذين ضلوا سبيل الحق فى هذا الصدد ، فبالغت

كما بالغوا حتى أراد الله لى رؤية أخرى^(٥٨) ، إذن فالعلم وحده يرفضه د/ زكى مبدأ وحيداً ويرى أنه لابد من جمع بين العلم والدين .

فلا يصح فيما يرى د/ زكى أن نكتفى بأحدهما عن الآخر ، فهما معا مكملان أحدهما للآخر وهما معا صانعى الحضارة المتكاملة فلا تعارض بين الدين والعلم ، ولا يصح أن نكتفى بديننا وإسلامنا عن معرفة علوم الغرب ، ولذا فهو يبين الأكذوبة القائلة بأن « إسلامنا يكفيننا ويغنينا عن الغرب بكل ما فيه » ويرد عليه بقوله : إن أكذوبة الأكاذيب .. فى المرحلة الثقافية التى نعيشها هى ذلك الباطل الذى شاع وذاع حتى ملأ القلوب والاسماع ، بأنه إما الإسلام وإما هذا العصر بعلومه وفنونه^(٥٩).

ولكن كيف تحق هذا الدعوة والأكذوبة ، إذا كان الإسلام لا يدعو إلى التخلف الحضارى ؟ أو يدعو إلى مقاطعة العلوم الطبيعية ؟ بل إن الإسلام نفسه يقيم دعائم الإيمان بالله على معرفة الكون ومن الذى وسوس لنا بأن الحياة الروحية تتحقق بالتلاوة مجردة عن التنفيذ ؟ « الحياة الروحية فى أسمى درجاتها وأكملها هى فى تلاوة القرآن الكريم والانطلاق إلى آفاق الدنيا تنفيذا

الأول : يقول لابد أن أعرف ليحى
إيمان على أساس بصير .

والثانى : يقول لابد لى من إيمان أولاً
لكى تحى المعرفة بعد ذلك فى حدود
الإيمان .

فصاحب وجهة النظر الأولى يقف
أمام قوله تعالى : ﴿ لو كان البحر مداداً
لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفذ
كلمات ربى ﴾ [الكهف : آية ١٠٩]
فيقرأ الآية ويحفظها ثم يخرج بما حفظه
إلى الكون الفسيح يتأمل ظواهره ، أما
الرجل الثانى ، فقد اتيح له أن يدرس
دراسة علمية دقيقة لبعض الظواهر ، فىرى
فى كل نقطة من نقاط هذا الكون
اللامتناهى كلمة من كلمات ربه تملؤه
بالتعظيم والأخلاق ، فكان الثانى عند
د / زكى أفضل من الأول ، لأن الرجل
الأول خرج إلى الكون وهو يعلم أن الله
تعالى خالق قادر عليم ، دون أن يعلم
تفصيلاً واحدة فوق ذلك ، أما الرجل
الثانى بعد أن يزود نفسه بتفصيلات
ظاهرة كونية واحدة إذا عاد إلى الآية
الكريمة أحس أعماقها (٦١) .

فإذا كان السائد فى حياتنا هو أننا نبدأ
بالإيمان ، ونقف عنده ولا نتجاوزه ، فإن
الصيغة التى يرى د / زكى أنها صيغة

لأوامره (٦٠) ، وهذا ما يؤكد النقطة التى
سبق أن عرضنا لها وهى أن الدين ليس
مجرد شعائر وعبادات وأقوال بل هو قيم
وسلوك وأعمال .

ج - بأيهما نبدأ

الدين والعلم إذن كلاهما دعامتان
هامتان للإنسان وللتقدم ، ولكن بأيهما
نبدأ ؟ هل نبدأ بالدين ثم نخرج إلى
العلم ؟ أو نبدأ بالعلم ثم ننظر فى
الدين ؟ أو من أيهما يبدأ الإنسان وإلى
أيهما ينتهى ؟ أبدأ من فكرته عن خالقه
وخالق الكون معا ؟ بمعنى أن يبدأ
الإنسان بتوجيه اهتمامه الأول إلى ما ورد
فى كتابه وعقيدته الدينية ليكون بذلك
هو مصدر الضياء الذى على هداة يفهم
الكون ويفهم نفسه ؟ أم يأخذ ذلك
الكتاب فى أول الأمر من ناحية التدين
والتعبد مرجئاً ناحية المعرفة والفهم حتى
يدرس نفسه ، فيدرس الكون معا وعندئذ
فقط يكون أقدر ما يكون على معرفة
حقيقة خالقه الذى خلقه وخلق الكون
جميعاً ؟ (٦١) .

ويضع د / زكى هذه الأسئلة فى
صيغة أخرى فيقول : « هل يعرف
الإنسان ليؤمن أو هو يؤمن ليعرف ؟ »
والناس تفترق فى الإجابة عن هذا السؤال
إلى اتجاهين :

د - قضايا بين العلم والدين :

من القضايا التي نقدها د/ زكى فى مجاله الفكرى ، وارتبطت فى أحد أبعادها بالفكر الدينى ، القضية التى تدعو إلى ربط العلم بالدين ، بحيث يكون مصدر هذا العلم هو القرآن الكريم ، وانقسمت هذه الدعوة إلى صورتين : الأولى تنادى بأسلمة العلوم الإنسانية ، والثانية تنادى باستخراج قوانين العلم الطبيعى وحقائقه من القرآن الكريم ، وكانت دعوة هؤلاء جميعا تقول « إننا نريد علوما إسلامية قوامها مادة إسلامية ، ومنهج البحث فيها هو منهج السلف من المسلمين » (٦٥) ، وتصدى د / زكى للرد على هؤلاء الزاعمين .

القضية الأولى : نقد أسلمة العلوم الإنسانية :

ينقد د/ زكى دعوة بعض العلماء الذاهبين إلى أسلمة العلوم الإنسانية ، والعلوم الإنسانية التى يقصدها هى : علم النفس ، علم الاجتماع ، علم الاقتصاد ، وعلم الشريعة ، وبداية يرفض د/ زكى هذا التقسيم الذى يضم علوم الشريعة إلى العلوم الإنسانية ، ويرى أن هذه الإضافة لا تصح ، وإنما اضافها من أراد أسلمة العلوم الإنسانية لكى يوهم المستمعين بصحة دعوته ، على حين أن

صحيحة ، فهى أن نبدأ بالعلم ، وبسميها « كلمة السر » وهى أن نعكس الصيغة ، فبعد أن كانت (إني أؤمن أولاً ثم أفهم) تصبح (إني أفهم أولاً ثم أؤمن) ولو اعتدل لنا الأمر على هذا النحو المستقيم لزالنا عن المثقف العربى أزمته ، لأنه كلما أراد أن يفهم الناس فكراً جديداً تقبله الناس بالأذان المصغية والعقول الواعية والقلوب التى تؤمن بعد ذلك بما تؤمن به عن فهم صحيح (٦٦) .

فهذا التأجيل ليس نفيًا لوجود الدين فى حياة الإنسان إلى ما بعد الفهم ، فإن الدين يتعلمه الإنسان منذ الصغر ، وهذا يتم عن طريق أن يتلقى المتدين عقيدته إيماناً منذ طفولته الواعية ، وأن يقيم طرق العبادة ويمارسها ، كل جانب منها فى موعده المناسب ، ثم نستخلص له من هذا الدين مقوماته الثقافية (٦٧) .

إلا أن العلاقة بين الدين والعلم واختلاف رؤى المثقفين والعلماء بأيهما نبدأ به ؟ وبأيهما نفسر الآخر ؟ قد أنتج نوعاً جديداً من القضايا التى ساد عصرنا هذا ، ودارت حول بعدى الدين والعلم ، فكان واجبا على د / زكى أن يبحثها ضمن بحثه فى العلاقة بين الدين والعلم .

علوم الشريعة لا تصح إلا أن تكون إسلامية ، سواء كانت من ناحية الموضوع أو المنهج ، وسواء كان الباحث فيها مسلماً أو غير مسلم ، ولكن الخطورة هنا فى إدخال هذا العلم ضمن العلوم الإنسانية لأن هذا يوهم القارئ بمزيد من قوة الدعوة إلى أسلمة العلوم الإنسانية مما قد يصرف العقل العادى عن زاوية صحيحة^(٦٦) .

لذا يقصر الدكتور زكى العلوم الإنسانية على علوم ثلاثة هى : علم النفس ، علم الاجتماع ، علم الاقتصاد ، ويلخص فحوى دعواهم بقولهم لماذا نأخذ هذه العلوم الإنسانية التى تدور موضوعاتها حول الإنسان فى طرائق حياته من علماء الغرب ، مع أن لنا نحن عن الإنسان وحياته ومبادئه وقيمه ، مصادرها الدينية والعلمية ، المصادر الدينية هى العقيدة الدينية ، والمصادر العلمية هى الحقائق العلمية التى ورثناها عن أسلافنا^(٦٧) ، أى أنهم أرادوا بأسلمة العلوم الإنسانية تحقيق هدفين :

أولهما : ألا تكون مراجعنا فى البحث العلمى ما كتبه فى موضوعات العلوم الإنسانية علماء الغرب ، وأن تكون مراجعنا هى مراجعنا نحن عند أسلافنا ، كالغزالي وابن تيمية وابن القيم وابن

حزم وابن خلدون ، وهذا اتجاه خاطئ - فيما يرى د/ زكى - وينتقده كما سنوضحه فيما بعد .

والثانى : أن تصب أبحاثنا العلمية على واقع حياتنا نحن ، حتى لا تؤخذ علومنا من واقع الحياة عند الآخرين ، ويرى د/ زكى أن ذلك أمر مفروض مقدما ، وهى مسألة بديهية لا تحتاج إلى أسلمة .

ويرفض د/ زكى هذه الدعوة إلى أسلمة العلوم الإنسانية ، ويبدأ بنقد وجود علم نفس إسلامى :

١ - يؤكد أولاً أن هذه الدعوى صادرة على المطلوب ، وفيها خطأ منطقي وتنطوى على تناقض يرفضه العقل ويتنافى مع خصائص الفكرة العلمية ، لأنها تشترط على الباحثين أن يقرؤا نتيجة معينة قبل أن يسيروا فى بحوثهم خطوة خطوة ، وهو أن تأتى نتائج أبحاثهم متفقة مع العقيدة الإسلامية ، فى حين أن « علم النفس كما هو معروف لدارسيه لا يتفق مع إطار الحضارة الإسلامية ، بل قد يتعارض أحيانا مع تعاليم الدين الإسلامى^(٦٨) ، هذا عن السبب الأول .

٢ - أما السبب الثانى الذى يعتمد عليه د/ زكى لرفض هذه الدعوة ، أن فيها ميلا عاطفياً يدفع الإنسان إلى عدم



الالتزام بالموضوعية ، وبالتالي لا تخرج لنا نتيجة موضوعية ، وأن مثل هذه الوقفة العاطفية هي نفس الوقفة التي حاربها من قبل نفر عظيم من أئمة المفكرين أسلافنا حين هوجمت ثقافة الغرباء ، فتصدوا للدفاع عنها ، وعن ضرورتها للعقل السليم .

٣ - أما السبب الثالث ، فهو أن في هذه الدعوة نوعاً من التعصب ، وهذا النوع من التعصب لا يرينا من الموقف إلا ما نتمنى أن نراه ، والحق أننا علينا أن نذكر الحقيقة في مجال العلم .

٤ - أن في هذه الدعوة خطورة في أن يتحول العلماء إلى تلاميذ ، يكرسوا كل مجهودهم لقراءة كتب الأسلاف ، بدلا من الاطلاع على أحدث ما وصل إليه الغرب في مجال هذه العلوم ، على حين أننا نريد علماء باحثين يضيفون إلى العلم جديدا ، ويجدون لمشكلات الحياة حلولاً لم يسبق إليها أحد ، فلا تدور أبحاثنا حينئذ حول ما كتبه ابن تيمية أو ابن القيم ، لأن مثل هذه الدراسات لا تقدم جديداً ، بل هي أحد عوامل التخلف العلمي ، لأن التخلف العلمي ليس إلا أن تدور الحركة العلمية حول كتب الاقدمين تقرأ وتشرح وتلخص ، فيصبح من أجاز هذه الأشياء عالماً ، ولكنه عالم

بما في كتب الأقدمين ، وليس عالماً بحقائق الواقع الجديد في ميدان علمه ^(٧٠) .

٥ - أن المنهج الواجب استخدامه في العلوم الإنسانية هو المنهج التجريبي الذي يفحص العينات المختارة في حدود الموضوع المطروح ، ثم يحاول حساب النتائج بعملية احصائية رياضية ، وهذا المنهج هو منهج واحد عند الجميع باختلاف عقائد أصحابه الدينية ، وبغض النظر عن المادة التي يبحثها ، فلا يتدخل فيه الإنسان بميوله ، وعقائده ^(٧١) .

٦ - أن طبيعة هذه العلوم متجددة ، لأن مشكلات الحياة الإنسانية تتجدد عسراً بعد عصر ، وبالتالي لا نستطيع أن نقف عند مشكلات المسلم القديم ولا نبحت مشكلات المسلم المعاصر أو الإنسان المعاصر بوجه عام ، لأن كل عالم من علماء الإسلام القدامى ، قد بحث فيما واجهه من مشكلات ، فالذي قابله مثلاً ابن خلدون من مشكلات غير ما يلقاه الباحث العلمي الآن ، فهناك موضوعات أخرى قد استحدثت ، فلو تبينت طبيعة العلم على حقيقتها لأصحاب الدعوة إلى (الأسلمة) لسلموا هم ، وسلمت معهم علوم الإنسان ^(٧٢) .

٧ - أن النتيجة التي نصل إليها في

التي لا تفرق بين وطن ووطن، ولا بين دين ودين، أى أنه يخـتـلف عن الخصوصية التي تعرف بها الثقافة حين يكون لكل شعب ثقافته الخاصة^(٧٤) ، وأيضاً العلم الذي لا بد أن يكون عالمياً .

القضية الثانية نقد استخراج الحقائق العلمية من القرآن

أما الشق الثانى الذى يوجه إليه د/ زكى نقده فى مجال العلم ، هو الاتجاه القائل بأن فى القرآن الكريم من الحقائق العلمية ما يتطابق مع أحدث ما وصلت إليه تلك العلوم الطبيعية من نتائج^(٧٥) مثال ذلك : أن يعرض أحد العلماء على الناس حقيقة علمية عن النبات أو الحيوان أو غيرها من خلق الله سبحانه وتعالى ، وبعد أن يبين كم تنطوى تلك الحقيقة العلمية عل مذهبات ، يستدل من ذلك على ما ليس له حق الاستدلال عنه كأن يستدل بذلك على شئ يتصل بالإيمان الدينى ، لأن فى ذلك خلط يضر أكثر مما ينفع^(٧٦) .

وبين د/ زكى خطورة هذه الدعوة التي تؤدى إلى انحراف خطير عن النظرة العلمية الصحيحة ، وأن هذه الدعوة إذا سمعها الجمهور وطلاب العلم من كبار العلماء المتخصصين كان لها أكبر الأثر

هذه العلوم ، تعد فكرة علمية تجردت عن الميل والهوى ، وكانت موضوعية لأنها وضعت على أيدي المختصين ، ولأنها متصلة بموضوع خارج حدود الذات ، ولأنها عامة ، ومن هنا لا يجوز أن تتجنس بجنسية من كشف عنها ، لأنها قد باتت ملكاً للجميع ، كما أنها صيغت صياغة دقيقة تضمن لها أن تفهم ولو عرضت بعد آلاف السنين ، وكان لها القدرة على التنبؤ بالحدث قبل وقوعه ، وبالتالي فهي نتيجة علمية لأنها التزمت بالمنهج العلمى بصرف النظر عن مادتها .

٨ - أما السبب الأخير ، فهو أن العلوم الإسلامية هي علوم ، وليست إسلامية من حيث أن الإسلام دين ، والعلوم الإسلامية ليست إسلاماً بل هي علوم ، وهناك فرق بين الحاليتين ، فالإسلام دين يقع منا موقع الإيمان ، فليس ثمة مجال للتصويب والتخطئ فيه ، وليس ثمة موضع للنقد أو لتعدد الآراء ، فالمسلمون فى حدود الصيغ الإيمانية وأمام العقائد الدينية سواء ، أما خارج الإيمان وداخل ميادين العلم ، فلهم آراء متعددة^(٧٧) .

وينهى د/ زكى هذه القضية مؤكداً على اختلاف العلم عن الدين ، لأن العلم نوع قائم بذاته ، تميز بالعمومية

فالعلم متغير مع تقدمه في تعاقب العصور ، لأن عصرًا لاحقًا يصحح أخطاء العلم في عصر سابق ، وليس ذلك لذنبه في طبائع الأشياء ، ولكنها قدرة الإنسان المحدودة هي التي تجعله يعلم جانبًا من الظاهرة المعينة ويغيب عنه جانب ، فتجئ معرفته العلمية منقوصة يكملها خلفاؤه العلماء^(٨٠) .

ولذا يرى د/ زكى أن هذه الدعوة في استخراج الحقائق العلمية من القرآن الكريم ، الذى هو دين منزل ثابت ستؤدى إلى أحد أمرين : إما أن يثبت العلم الطبيعي وهذا محال ، أو أن يتغير الدين الثابت بتطور العلم وهذا محال أيضاً ، لأن « الجانب الإيماني تظل قوته حتى لو بطلت الحقيقة العلمية التي تقدم ليكون سنداً له » ، ولذا يجب علينا احترام الحقائق التي لا سبيل إلى نكرانها حتى إذا وجدناها كأنما هي تتعارض مع نصوص العقيدة في ظاهرها ، ووجب النظر في تأويل تلك النصوص تأويلاً يقبله العقل ، وتقبله اللغة العربية في الوقت نفسه ، لأننا لو تركنا الفجوة قائمة بين نصوص العقيدة من ناحية ، والحقائق التي تثبت العلوم من ناحية أخرى ، فتحنا بذلك الباب واسعاً أمام ذوى النفوس الضعيفة أن يشكوا في نصوص العقيدة ،

في فساد العلم ، وربما أدى إلى انحراف الفكر السليم عن المنهج ويعتمد د/ زكى في تنفيذ هذه القضية على نقطتين :

الأولى : أن القرآن الكريم إنما هو كتاب نزل ليوضح عقيدة وشرعية ، قد يكون فيه بعض الإشارات إلى حقائق علمية ، إلا أن ورودها لم يكن بقصد أن تكون علمية ، وإنما وردت لتخدم القصد المتفق مع سياق ورودها^(٧٧) .

الثانية : أن العلم بحكم طبيعته يصحح نفسه بنفسه والحقائق فيه متغيرة ، وربما وصل العلماء إلى حقيقة ما ، فتظل هذه الحقيقة صحيحة وثابتة حتى يأتي علماء آخرون باكتشاف أكثر اتساعاً وشمولاً ليغيروا ، أو يضيفوا إلى الحقيقة السابقة ، وهكذا تظل الوقائع تتكشف لنا ، ونظل نلاحقها بتغير القوانين العلمية ، فإذا ارتبط العلم بالعقيدة ، فمن ذا الذى يرضى لعقيدته الدينية أن توضع في هذا المنظور المتغير مع تعاقب العصور^(٧٨) ، مبادئ الدين الثابتة عند المؤمنين بذلك الدين ، لأنها في آخر المطاف معايير يقاس بها السلوك ليجزى خيراً بخير ، وشرّاً بشر ، فلا بد للمعيار أن يحتفظ بمعنى واحد ، وإلا فقد معيارته^(٧٩) أما العلم فيتغير دائماً طالما هناك اكتشافات جديدة.

وبهذا التصور يمكن للعلماء - فيما يذهب د/ زكى - إقامة علم إسلامى ، فالمسلمون قد عبدوا الله من ناحية دراستهم لخلق الله ، بالإضافة إلى عبادته سبحانه وتعالى من ناحية الأركان الخمسة^(٨٣) ، فالعلم يمكن أن يكون إسلاميا ، عن طريق الوقفة العامة التى يقفها المسلم من الكون ، فيرتب العلوم الجزئية فى وحدة تضمها على نحو ما تحقق للمسلم نوعا من التوحيد بين عناصره الداخلية وبين العلوم الجزئية المتكررة ، ويكون هذا التوحيد بهدفه الحقيقى فى خضم الحياة الواقعية .

ويضرب د/ زكى مثالا بذلك من أسلافنا القدماء فى وقفتهم من العلم ، فلم يكن الدين وسيلتهم للتجمد ، بل كان دافعا لهم فى العلم والمعرفة ، ونحن الآن فى أمس الحاجة إلى هذه الوقفة الداعية إلى العلم ، عندما كان علماؤنا علماء مسلمين ، وليس علماء ومسلمين فالعلم بجانب الدين ليس شيئا منفصلا عنه ، وعندئذ كانت العبادة ذات وجهين وجه نحو الأركان الخمسة ، ووجه نحو النظر والتفكر فى السموات والأرض وما بينهما على نحو ما أمر القرآن الكريم ، فإذا اتجه المسلمون بإيمان راسخ وعميق نحو دراسة العلوم ، لا من حيث هى مذكرات تحفظ ، بل من حيث هى عبادة

إذ يتعذر على العقل البشرى كما فطره الله سبحانه ، أن يجد حقيقة تثبت بالعلم الأكيد ثم يتنكر لها^(٨٤) .

ومن هنا يؤكد د/ زكى على استقلال مجال العلم عن مجال الدين ، فهما مستقلان من حيث الموضوع ، ومن حيث المنهج ، وإن كان كلاهما يشتركان فى أنهما يفصحان عن الإنسان ، وأن التقاءهما معا فى الإنسان الواحد يحقق اكتماله ، ولذا يمكن للدين والعلم أن يجتمعا معا ، لخير الإنسان ، فللمسلم كتابان ، كتاب القرآن الكريم ، وكتاب الكون العظيم ، فمن القرآن يستمد المسلم المبادئ والقواعد التى يقيم حياته السلوكية على أساسها ، ومن الكون يستمد المسلم وغيره قوانين العلم ، وكلا الكتابين مقروء للناس بمقادير ودرجات ، ولكل كتاب عالم مختص به ، ولغة خاصة وقانون ومنهج خاص ، فيجب على العالم فى كل مجال أن يقصر بحثه على مجال علمه فلا يتجاوزه فيما لا يفهمه ، ولا يقدر حدوده ، وأن كان يمكن لعالم الطبيعة بعد أن ينتهى من معرفة الكون من الإيمان أكثر برب الكون ، فيكون إيمانه حينئذ نورا على نور^(٨٥) ، ويكون قد جمع بين العلم والإيمان .

لتمييزوا في هذا المجال بالقياس إلى علماء الغرب^(٨٤).

فالعلم يستفيد من الدين ، والدين أيضاً يستفيد من العلم ، لأن العلم يزيد المؤمن إيماناً على إيمانه ، وهكذا يزداد الإيمان إيمانية عن طريق العلم ، والعكس صحيح أيضاً ، وهو أن العلم يزداد علمية عن طريق الإيمان الديني ، لأن هذا الإيمان يفيد الإنسان قيماً وسلوكاً قوياً .

ويحدد د/ زكي قيماً يستطيع الإنسان العالم أن يستفيد منها من الدين ، مثل قيمة أفضلية العلم على الجهل ، فلا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، فهي قيمة علمية تحفز العالم على المضى في علمه مهما لقي في سبيله من مشقة ، وقيمة الأمانة في الحق ، فيوجب الدين على الإنسان عامة ، وعلى العالم بوجه خاص أن يكون أميناً على الحق صادقاً في إعلانه ، « فإذا كان من المرجح أن يتصدى لعلمك جاهلون ، فعليك بالصبر ، والصبر في ذاته قيمة أخرى من وعاء الدين »^(٨٥).

ويضيف الدكتور زكي نجيب محمود، إلى هذه القيم الدينية ، قيماً أخرى ، يستفيد منها العالم من الإسلام ، وهي أن الفكرة الجوهرية في الإسلام ، هي فكرة

التوحيد ، يستطيع العالم أن يطبقها على نظريته للعلوم كلها ، وعلى نظريته لأجزاء الكون ، وأيضاً على نظريته للإنسان وبهذه العقيدة يتحقق له التوافق ، والإحساس بوحدانية الكون على اختلاف أجزائه ، وبهذه النظرة القائمة على الوحدانية والتوحيد « تتحقق أسلمة العلوم بمعناها الصحيح ، فليست (إسلامية) العلم المعين ، أو العلوم المجتمعة ، هي أن يبحث كل علم معين عن مصادره في القرآن الكريم ، أو في الأحاديث النبوية ، بل إن إسلامية العلم هي البحث عما يوحد قوانينه ومبادئه في أصل واحد ، وإذا انكشف لنا موضع التوحيد ، أو مواضع التوحيد ، التي تدرج بها من الفرد الواحد أولاً ، ثم العلم الواحد إلى أن ننتهي إلى توحيد مجموعات العلوم في أساس واحد ، جاءت عقيدتنا في التوحيد عميقة وقوية^(٨٦) .

وبهذا التصور ، يضع زكي نجيب تصوراً لما يمكن أن نسميه علماً إسلامياً ، لأنه علم قد استفاد من الدين الإسلامي قيمه ، فجاء علماً يخدم الإنسان لا يدمره ، علماً يمهّد للإنسان طرقاً جديدة للنظر في الكون والمخلوقات ، ليحقق بهذا دعوة الإسلام إلى التفكير ، والنظر في ملكوت الله تعالى ، وبهذا

يستطيع أن يخدم العلم وبهذا يكون العلم إنسانيا وفى نفس الوقت إسلاميا .

سابعا : الدين والعلم والحضارة التامة

يجمع الدكتور زكى نجيب محمود بين الدين والعلم معا كطرفين متلازمين لصنع الحضارة التامة فإذا استطاع الإنسان العربى المسلم المعاصر أن يجمع بينهما حقق الحضارة الكاملة وصار إنساناً كاملاً ، لأنه حقق العلم والدين ، وجمع بين العقل والقلب ، بين المادة والروح بين الدنيا والآخرة .

ويعيب زكى نجيب محمود على كل من حاول أن يقسم الطبيعة البشرية إلى طائفتين : إما رجل علم ، أو رجل دين ، وقد تبنى هذا رأى العديد من القدماء والمحدثين ، يذكر منهما اثنين على سبيل المثال ، أحدهما عربى من القدماء وهو « أبو العلاء المعرى » ، والآخر غربى من المعاصرين وهو المؤرخ البريطانى « ارنولد توينبى » ، حيث ذهب إلى أن « الناس رجالان ، إما رجل يحتكم إلى عقله ، أو آخر يحتكم إلى دينه » ^(٨٧) ، وقد سرى هذا التقسيم عند أكثر الناس ، على الرغم أن هذا التقسيم - فيما يرى الدكتور زكى أنه « أكذوبة الأكاذيب فى هذه المرحلة التى نعيشها ، وأن المسلمين قد انقسموا إما إلى الأخذ بالإسلام وحده

فقط ، وإما أخذ هذا العصر بعلومه وفنونه ، مرددين فى ذلك أن على المسلم لو أراد إسلاما صحيحا أن يترك العصر بما فيه ، ويرفض الدكتور زكى هذا الزعم مبينا أمرين :

أولهما : أن المسلم الحق يستحيل عليه ألا يصل إلى أخص خصائص هذا العصر عن طريق إسلامه .

والأمر الثانى : أننا لن نجد خاصية واحدة من الخواص التى على دعائمها قام هذا العصر بحضارته الجديدة ، إلا أننا واجدون كذلك بأنها خاصية حضنا عليها الإسلام ^(٨٨) .

فالإسلام لا يناهض الحضارة ، بل يدعو إليها ، والعربى القديم قد أقام بإسلامه الصحيح حضارته السابقة ، وبإحيائه لدينه سيقم حضارته المنشودة ، فلا تعارض بين إسلام وحضارة لأن الإسلام عنده هو « عقيدة تصلح لكل مكان ، ولكل زمان على أتساع رقعة المكان وامتداد طول الزمان » ^(٨٩) ، فبالإسلام أقام العربى حضارته السابقة ، وبالإسلام أيضاً سيقم حضارته الجديدة ، فلا تعارض بينهما « ، ولم يقل أحد ، بل ولا يجزئ أحد على القول بأن المسلم

فى الجوهر وفى المنهج ، فهما يلتقيان معا فى كل فرد من الناس ، فكل إنسان عقل ودين معا ، ثم يجئ الاختلاف بين الناس فى الدرجة وحدها .

الثانية : أنه برغم اعترافنا أن الدين قوامه (الإيمان) ، إلا أن ذلك لا ينفى إمكان إقامة البراهين العقلية على صحة العقيدة الدينية من ناحية المنطق .

ثالثا : أن جانب الدين عند الإنسان - عقيدة وشريعة معا - هو دائماً ميدان العمل ، يستخدم الإنسان فيه عقله ليستخرج منه النتائج التى تنظم له حياته . فلو كان العقل والدين عنصرين متنافرين لما أمكن لأحدهما أن يقام على الآخر ، كالذى نراه حين يقام فقه الدين على منطق العقل ^(١٢) .

ومن هنا كان الإنسان الحقيقى - عند زكى نجيب محمود - هو الذى يجمع بين الجانبين ، جانب العقل ، وجانب الإيمان ، فليس صحيحاً أن الإنسان إما ذو عقل أو ذو دين ، بل الصحيح أن الإنسان الواحد يلتقى فيه الدين والعلم ، فالجانبان معا هما قوام كل إنسان ، والجانبان معا ضروريان لكل إنسان يريد لنفسه حياة تحقق فطرته السليمة فالعلم عقل ، والإيمان عاطفة ، وبالعقل

لا يسعه بحكم إسلامه إلا أن تتمخض عن زهرة حضارية واحدة ^(١٣) .

فبالإسلام أقمنا حضارتنا السابقة ، وبه أيضاً ستقام كل حضارة جديدة لنا ، ولكن ليس بإسلام أى مسلم ، وإنما بالدعوة الصحيحة للإسلام التى لا تناهض العلم ولا تنكره ، ولا تحارب العقل أو تنفيه ، ولا تسعى إلى الخرافات أو تقر بها .

وبهذا التصور الصحيح ، يستطيع المسلم أن يدخل إلى العصر الحديث ليشارك فى علومه ، فلا تعارض بين ثقافته الإسلامية ، وثقافة العصر الحديث ، « ومن أين يأتى التناقض ، والإسلام أساساً رسالة أخلاق وثقافة الغرب المعاصرة - أساساً - ثقافة عصبها العلوم ، والذى بين الأخلاق والعلوم ، إنما هو أن تضاف تلك إلى هذه ، لا أن يضطرع الطرفان » ^(١٤) .

فالدين - عند الدكتور زكى - يكمل دور العلم فى صنع الحضارة ، أما الفصل بينهما فهو اتجاه خاطئ ، ومرد هذا الخطأ يعود إلى عدة وجوه :

أولها : أن الصواب هو أن هذين الطرفين - مهما كان بينهما من تباين

الذين أقاموا حضارة عصرنا هذا بكل مقوماته الأساسية ؟ .

ويجب على هذا التساؤل ، بأنه ليس فى إسلامنا ما يمنعنا ، إذا نحن عشنا به حياة المسلمين الصحيحة ، وهى حياة لا ترفض شيئاً من دعائم الحضارة الراهنة بل هى تضيف كل تلك الدعائم إلى ما عندها موروثاً عن السابقين ^(٩٦) وقد تحققت هذه الحياة الإسلامية الحققة من قبل ، تحققت بأفضل صورها عند المسلمين الأوائل ، فصنعوا حضارتهم الأولى ، ونحن الآن فى حاجة إلى ترديد هذه الصيغة مرة أخرى ، لصنع حضارة جديدة ، تأخذ من الماضى والحاضر ، تجمع بين التراث والوفاد ، ويكون لقاء هذا فى كيان الفرد الواحد ، وبالتالي فى كيان المجتمع كله ، فالدعوة « إلى وجوب الدمج العضوى الذى ينبثق من كيان حضارى ثقافى يجمع بين تراثنا - ومداره أخلاقيات الإسلام وروح العصر الحاضر ، ومداره على العلوم وما يترتب عليها من تقنيات ... مثل هذه الإضافة ، لو استطعناها على الوجه السليم ، جاءت بمثابة إضافة تحدد دورنا الرئيسى فى بناء حضارة العصر ^(٩٧) .

بهذا اللقاء الذى يمكن للمسلم أن

والعاطفة معا يحيا الإنسان السوى السليم ^(٩٨) فحياة الإنسان بها عدة جوانب ولا يكون الإنسان إنساناً إلا بهما جميعاً ، فهو يحيا حياة علمية وهو يحيا حياة خلقية دينية ^(٩٩) .

وكما أن الاكتفاء بالدين وعلومه وتراث الأجداد وحده لا يكفى ، لأن التقدم أصبح مرتبطاً بالعلم والعلم المقصود هو علم بقوانين الطبيعة ، فلم يعد التقدم مرهوناً بالعلماء الفقهاء الذين يقصرون العلم على شرح النصوص ، ثم على حواشى تلحق بالشروح ، أو الذين يجعلون الفقه فقهاً بما هو مسطور فى الكتب مهما كانت لهذه الكتب مكانتها ، تلك ثقافة الكلمة ، لكن لا تلك الثقافة ولا ذلك العلم والفقه بمدير عجالات المصانع ولا برافع للطائرة جناحاً ^(١٠٠) ، وأيضاً ليس بالعلم وحده ستقدم الحضارة التامة ، لأن العلم بالقديم سينتج حضارة قديمة تحمل القيم وتفقد المعرفة ، تحمل أهدافاً وتفقد وسائل ، تحمل روحاً وتفقد مادة ، والحضارة هما معا .

ويتسائل الدكتور زكى إذا كان هذا واقع الحضارة التى نسعى إليها ، فلماذا لا يسعى إليها المسلمون ، وماذا فى الإسلام يمنع أن يكون المسلمون هم

وركيزة أساسية هي دين وتاريخ ، كانت قد قامت عليها حضارته الأولى التي فترت قوتها ، ولكن بقيت ركيزتها وستبقى ، ووسيلتنا إليها هو أن ننقل حضارة القوة المستندة إلى علم ، فنقيمها على أرضنا فوق ركيزتنا نحن ، بما تنطوى عليه من دين وتاريخ ^(٩٩) ، وتتم هذه المشاركة بينهما بعدة وسائل يجب علينا مراعاتها :

١ - أن نحيا حياة اجتماعية من شأنها أن تفرز لنا وجوب البحث العلمى الذى نواجه به تلك المشكلات .

٢ - أن تنشأ فى جوف تلك الحياة العلمية اهتمامات على مستوى أعلى يرتبط بها رجال الاختصاص العلمى بمن يقابلهم فى أنحاء العالم المتقدم ، ليكون لنا نصيبنا المعقول فى بحث أمهات المسائل العلمية التى تستهدف إلى سد الثغرات الموجودة والمتعلقة بأسئلة كبرى لم تجد أجوبتها بعد .

٣ - أن يكون منا من يبادر الدنيا بلفتة علمية جديدة فى أى ميدان من ميادين الطبيعة ، أما واقع الأمر أن قد ربينا ونشأنا وتعلمنا طريقة تقوم على أن الدين يتنافر مع العلم الطبيعى ونتائج ، حتى إننا نرى دارس العلم يتناول ذلك

يصطنعه بين العلم والدين ، سننجح فى إيجاد الحضارة الكاملة التى فشل الغرب نفسه ، وهو صانع العلم الحديث ، فى أن يقيم لنفسه مثل هذا اللقاء بين الطرفين ، العلم والإنسان ، فكان له العلم ، ولكنه فقد الإنسان ، فقد أهملت الحضارة الغربية الإنسان ، فهو على الرغم من أنه هناك يسير عصره العلمى فى مقتضياته ، لكنه لا يجد الفراغ ليخلو إلى نفسه ويصغى إليها ، كأنما كل فرد هناك هو « فاوست » اغراه الشيطان بأن يبيع نفسه من أجل علم يحصله ، أو من أجل مال يكسبه ، ويؤكد الدكتور زكى بأن ليس فى رأيه هذا تهوين من شأن العلم والمال والقوة ، بل هو يذكر هذا ليؤكد « ضرورة أن يضاف إليه شئ آخر وهو القيم ... التى تجعل من الإنسان إنسانا بالعمق بعد أن جعل منه العلم والمال والقوة إنسانا بالطول والعرض » ^(٩٨) .

فإذا أراد مسلم اليوم أن يصنع حضارته الجديدة ، فعليه أن يقدم مزيجا جديدا يجمع بين حضارة الغرب ، وهويته الشخصية ، التى يدخل الدين كأهم سمة فيها ، فيجمع بين علم الغرب ودينه الإسلامى ، والمسلم الآن يواجه حضارتين ، حضارة الغرب ، وركيزتها الأساسية هي علم طبيعى بمعناه الجديد ،

العلم على حذر وخشية أن يتنافى هذا مع الإيمان الدينى، أو مع أى شعور مما توارثناه عن ماضينا، أنه قد يتنافى مثلاً مع خوارق الأولياء، أو الاعتقاد فى عجز الإنسان وقصوره بالقياس إلى علم الله وقدرته سبحانه وتعالى^(١٠٠) فما نريده من المسلم، أن يطبق الدعوة الدينية إلى وجوب المعرفة، وإلى استخدام العقل، ليضئ له طريق المعرفة حتى تطير خفافيش الخرافات والأوهام.

ولا يقصر الدكتور زكى دور الدين فى بناء الحضارة على إكماله لدور العلم فقط بل يرى أن للدين دور آخر فى إكماله الفلسفات المعاصرة، وهذه الفلسفات هى « الوجودية والتحليلية والبرجماتية والمادية الجدلية »، وكل فلسفة منهم تخدم الإنسان من جانب، فأحدهم تقرر بنفسه ما يريده لنفسه (وجودية) وأحدهم توضح بنفسه ما يريده لنفسه (تحليلية) وأحدهم تضع له الأهداف ابتغاء تحقيقها (برجماتية) والأخيرة تلمس عوائق السير وتسعى لإزالتها (مادية جدلية) فالمحور الأساسى لأهم فلسفات عصرنا تدور حول الإنسان « التى تجعل من الإنسان مبدأ وغاية، وتجعل هذه الحياة الأولى والأخيرة »^(١٠١).

فمذاهب الفلسفات المعاصرة - كما يراها الدكتور زكى - تهتم بالإنسان فى حياته الدنيا، وكأنه يبدأ هنا، وينتهى هنا، ولم يكن منه شئ قبل ظهوره، ولن يكون منه شئ بعد غيابه، ولكن هذه النظرة أصابت الروح الإنسانية بمقتل لأنها حصرت وجود الإنسان بهذه الدنيا، بما فيها من صرعات « مما دعا الكثير من رجال الفكر فى الغرب، إلى اتهام الحضارة القائمة - علم وفلسفة - بأنها حضارة عرجاء تسير على رجل واحدة، وأما الرجل الثانية التى غابت فأصيبت الحضارة لغيابها بالعرج فهى جانب الرادع الخلقى^(١٠٢) ومصدره الأساسى من الدين.

وهذه النظرة التى تقدمها الفلسفات المعاصرة للإنسان، يرى الدكتور زكى أنها لا تتفق مع رؤية الدين له، لأن النظرة الإسلامية من شأنها أن تجعل هذه الحياة مرحلة أولى تأتى بعدها مرحلة أخرى من الحياة الأبدية، وفى استطاعة الدين أن يكمل هذه النظرة الفلسفية الناقصة للإنسان، فتضع للإنسان تصوراً لحياته قبل الميلاد، وتصوراً لحياته بعد الموت، وهما التصوران اللذان لا تقدمهما الفلسفات المعاصرة، حيث ينصب اهتمامها على الإنسان منذ الميلاد وحتى الممات، أما قبل هذا أو بعد هذا فلا

تعبيره اهتمامها .

فكان الدين عند الدكتور زكى يضيف أبعادا جديدة للإنسان أكثر بعدا من هذه الفلسفات المعاصرة ، لأنه يبحث قبل وجود الإنسان ، وبعد وجوده ، قبل الحياة وبعدها ، ويعطيه العلة فى خلقه ، ويعطيه الجزء على عمله ، فما يفقده الناس فى الغرب هو غياب الهدف الذى يعيشون ويعملون من أجله ، ومن هنا كانت للحياة الدينية قيمة كبرى ، لأنها حياة من شأنها أن تقضى على الشعورين معا : الشعور بالقلق والشعور بالاغتراب ... لأن الإنسان يعمل طاعة لربه وابتغاء مرضاته فلا سؤال بعد هذا لماذا أعمل ؟ بل ولا سؤال بعد هذا لمن أعمل ^(١٠٣) .

ويلخص الدكتور زكى أركان الحياة السوية بشرطين هما علم وقيم ، المصدر الرئيسى للمعرفة العلمية هى العلوم الطبيعية ، والمصدر الرئيسى للقيم الموجهة للسلوك هو الدين ، والحياة السوية شرطها أن يتوازن هذان المصدران ، فبالمصدر الأول نعرف حقيقة العالم الواقع ، وبالمصدر الثانى نعرف الحدود الجائزة فى التعامل مع ذلك الواقع ، وقد جاءت الحضارة الإسلامية مزيجا كلمة وفعل ^(١٠٤) ويبدو واضحا أنه لا بد لنا من الجمع بين مبادئ الأخلاق كما وردت فى العقيدة الدينية ،

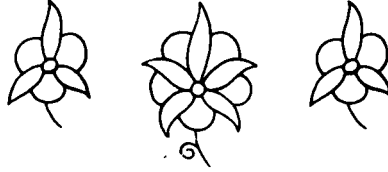
وقوانين العلم الحديث بما تتضمنه من منهج جديد وليس هذا الجمع مستحيلا ^(١٠٥) بل هو جمع ينادينا زكى نجيب محمود للأخذ به ، لأنه سيفتح أمامنا أفقا مغلفة لأنها ثنائية تضع الإنسان على قدمية فوق الأرض ، وترفع رأسه إلى السماء ، أنها تتيح أن يعيش لهما معا ، فعلى الأرض يسعى علما وعملا ، وفى السماء يهتدى بالمثل التى ترسم أمامه أهدافا وغايات ، والعلم والقيم كلاهما - فى أوروبا وأمريكا - ينبت من الأرض كلاهما ينشد القوة والمنفعة ، وأما الثنائية المقترحة لنا فتجعل العلم نباتا ينبثق من الأرض وظواهرها ، وتجعل القيم غيثا ينزل من السماء ووحيتها ، فالثنائية المقترحة تضمن لنا ، أن نجمع بين العلم وكرامة الإنسان ، وهى ثنائية - تكفل لنا أن نضع الإنسان فى موضعه الصحيح بالنسبة الصحيحة ، فلا تضخيم له ولا تهوين من شأنه ^(١٠٥) .

ولما كان هذا الجمع بين الدين والعلم ، هو الصيغة الصحيحة ، فيما يرى زكى نجيب محمود ، أوجب على كل مسلم أن يأخذ من دينه ما يدفعه إلى الأمام ، إلى التقدم ، يأخذ من الغرب علمهم الطبيعى ويأخذ من دينه الإطار الصحيح الذى يوظف فيه هذا العلم

لخدمة البشرية لا تدميرها ، يأخذ من الفلسفات نظرتها المتعددة لكافة جوانب حياة الإنسان فى الدنيا ، ويأخذ من الدين ما يكمل هذه النظرة يبحث فيما قبل الميلاد ، وما بعد الحياة ، فيأخذ من الغرب الوسائل ويضع من عنده الأهداف ، يأخذ من الغرب المادة ويضع من عنده الروح ، يأخذ من الغرب اهتمامهم بالحياة الدنيا ويضع من عنده اهتمام بالحياة الآخرة ، بهذا يحقق صورة الإنسانية الكاملة وبهذا تتحقق الحضارة التامة .

هذا هو تصور زكى نجيب محمود

للتفاعل الذى يمكن أن يقوم بين العلم والدين ، ولا أظن أن هناك عالماً على وجه الأرض يستطيع أن يدعى أنه يقدم علماً ليس لخدمة الإنسان ، فالإسلام يضع الإنسان كركن أساسى فى منظومته ، وبالتالى يضع هذا الحد للعلم فشرطه للعلم لكى يكون صحيحاً أن يخدم الإنسان ويجعل حياته أكثر ملائمة عن ذى قبل ، وأيضاً لا أظن أنه يوجد رجل دين يرى أن الاهتمام بالعلم والعالم يخالف عقيدته ، لأنها نزلت على إنسان يعيش فى هذا العالم الذى يجب أن يعرفه ، ويعرف خالقه عن طريقه .



الهوامش

- ١ - د / زكى نجيب محمود ، فى تحديث الثقافة العربية ، مقالة « رحلة صيف » ، ص ٢٥ دار الشروق ، القاهرة ، ط ١ سنة ١٤٠٧ ، ١٩٨٧ .
- ٢ - د / زكى نجيب محمود : رؤية إسلامية ، مقالة « عالم عابد فى مركب الفضاء » ، ص ٩٨ - ٩٩ دار الشروق ط ١ ، سنة ١٤٠٧ ، ١٩٨٧ .
- ٣ - د / زكى نجيب محمود : بذور وجذور ، مقالة « لقاء فى الجسرة » ، ص ٣١٢ ، ٣١٣ ، دار الشروق ط ١ سنة ١٤١٠ ، ١٩٩٠ .
- ٤ - انظر هيجل « موسوعة العلوم الفلسفية » ص ٤٧ - ٤٨ ، ترجمة د / إمام عبد الفتاح إمام ، دار الثقافة بالقاهرة ط ١ سنة ١٩٨٥ ، وأيضاً وولترستيس : الزمان والأزل ، مقالة فى فلسفة الدين ص ٤٠ ، ترجمة زكريا إبراهيم ، الموسوعة الوطنية للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٧ .
- ٥ - د / زكى نجيب محمود : قيم من التراث ، مقالة « سؤال عن الثقافة وجوابه » ص ٣٣١ ، دار الشروق .
- ٦ - رؤية إسلامية ، مقالة « اختلافات الرأى والرؤية » ص ٨٧ .
- ٧ - المرجع السابق نفس المقالة ص ٨٨ .
- ٨ - د / زكى نجيب محمود : قيم من التراث ، مقالة « ما لهذه الشجرة لا تنمو » ؟ ، ص ١٨٩ .
- ٩ - المرجع السابق ، مقالة « الدين والتدين وعلم الدين » ، ص ١٤٣ .
- ١٠ - المرجع السابق نفس المقالة ، ص ١٥١ .
- ١١ - د / زكى نجيب محمود : تجديد الفكر العربى ص ٦٨ ، دار الشروق ط ٢ سنة ١٩٧٣ .
- ١٢ - د / زكى نجيب محمود : هذا العصر وثقافته ، مقالة « ليس إيمان الدراويش » ص ١٦٧ ، دار الشروق ط ١ سنة ١٤٠٤ - ١٩٨٤ .
- ١٣ - رؤية إسلامية ، مقالة « الأشياء والكلمات » ص ٦١ ، ٦٢ .
- ١٤ - هذا العصر وثقافته ، مقالة « طريقنا إلى إحياء الدين » ص ١٤١ .
- ١٥ - رؤية إسلامية ، مقالة « أهو شرك من نوع جديد » ؟ ، ص ٣١٦ .
- ١٦ - المرجع السابق ، مقالة « أنا المسجد الساجد » ص ٢٠ .
- ١٧ - قيم من التراث ، مقالة « الشعائر وما وراءها » ص ١١١ .
- ١٨ - المرجع السابق ، مقالة « تربية الضمير الدينى » ص ١٠٦ .
- ١٩ - المرجع السابق ، مقالة « الشعائر وما وراءها » ص ١١٤ ، وتشابه هذه الفكرة التى أخذ بها أستاذنا

- الدكتور / زكى مع ما سبق أن قاله سقراط فى أن من يعرف لا يخطئ فالمعرفة فضيلة والجهل رذيلة .
- ٢٠ - رؤية إسلامية ، مقالة « أنا المسجد الساجد » ص ١٩ .
- ٢١ - هذا العصر وثقافته ، مقالة « بحثاً عن الإنسان الجديد » ص ٧٧ .
- ٢٢ - قيم من التراث ، مقالة « من وحى الكعبة » ص ٩٦ .
- ٢٣ - المرجع السابق ، مقالة « قيمة من التراث تستحق البقاء » ص ١٠ .
- ٢٤ - المرجع السابق ، نفس المقالة ص ١٣ .
- ٢٥ - هذا العصر وثقافته ، مقالة « قومية ثقافية » ص ٥٠ .
- ٢٦ - د / زكى نجيب محمود : هموم المثقفين ، ص ١٢٤ ، دار الشروق ، ط ١ سنة ١٤٠١ - ١٩٨١ .
- ٢٧ - د / زكى نجيب محمود : عربى بين ثقافتين ، مقالة « أين نضع المبادئ ؟ » ص ٣٨ ، وأيضاً المقدمة ص ٧ ، دار الشروق ط ١ سنة ١٤٠١ - ١٩٩٠ .
- ٢٨ - د / زكى نجيب محمود : ثقافتنا فى مواجهة العصر ، مقالة « إنسانية العلم » ص ٢٢٣ دار الشروق ط ١ سنة ١٩٧٦ ، أحياناً يضع د / زكى الدين ضمن التراث ، وأحياناً أخرى يخرج من دائرة التراث ، وأحياناً يضعه ضمن الثقافة وأحياناً أخرى يخرج من دائرة الثقافة ويجعله مشكلاً لها ، أما الدكتور حسن حنفى ، فىرى أن « الدين جزء من التراث ، وليس التراث جزءاً من الدين » انظر د / حسن حنفى التراث والتجديد ، ص ٢٠ دار التنوير بيروت ط ١ سنة ١٩٨١ .
- ٢٩ - فى تحديث الثقافة العربية ، مقالة « الكتيبة الخرساء » ص ٣٣٠ .
- ٣٠ - رؤية إسلامية ، مقالة « اقرأ باسم ربك .. » ص ٣٦ .
- ٣١ - د / زكى نجيب محمود : مجتمع جديد أو الكارثة ، مقالة « الفردية المسئولة » ص ٢٥ ، دار الشروق ط ١ سنة ١٤٠٣ - ١٩٨٣ ، وهموم المثقفين ، مقالة « طريق العقل فى التراث الإسلامى » ص ٨٠ ، وأيضاً قصة عقل ص ٢٣٤ ، دار الشروق ، ط ١ سنة ١٤٠٣ - ١٩٨٣ .
- ٣٢ - بذور وجذور ، مقالة « عن العقل ونضجه » ص ٤٠٣ .
- ٣٣ - المرجع السابق ، نفس المقالة ص ٤٠٥ ، ٤٠٨ .
- ٣٤ - المرجع السابق نفس المقالة ص ٤٠٠ .
- ٣٥ - مجتمع جديد أو الكارثة ، مقالة « سلطان العقل » ص ١٠ ومن زاوية فلسفية ، ص ٨ ، دار الشروق ط ٣ سنة ١٤٠٢ - ١٩٨٢ ورؤية إسلامية ، مقالة « تقاليد وتقليد » ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ وقارن الغزالي : الاقتصاد فى الاعتقاد .
- ٣٦ - قيم من التراث ، مقالة « ابن رشد فى تيار الفكر العربى » ص ٢٤ ، ٤٣ ، وقارن ابن رشد :

فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال ص ١٧ ، ضمن كتاب فلسفة ابن رشد ، نشر دار الآفاق الجديدة بيروت سنة ١٩٨٧ .

٣٧ - مجتمع جديد أو الكارثة ، مقالة « سلطان العقل » ص ٩ ، ١٠ ، ومن زاوية فلسفية ص ٨ ، ورؤية إسلامية ، مقالة « تقاليد وتقليد » ص ٢٣٧ ، وقارن محمد عبده رسالة التوحيد ، تحقيق محمود أبو رية ص ٣٤ ط ٥ دار المعارف سنة ١٩٧٧ .

٣٨ - هذا العصر وثقافته ، مقالة « طبيعتنا وما ينبع منها » ص ١٣٣ - ١٣٤ .

٣٩ - تجديد الفكر العربي ، ص ١١٧ - ١١٨ ، وانظر إلى المعتزلة في هذا البير نصرى نادر: فلسفة المعتزلة ج ١ ص ١١٢ ، نشر الإسكندرية .

٤٠ - تجديد الفكر العربي ، مقالة « غربة الروح عن أهلها » ص ١٣٦ .

٤١ - د / زكي نجيب محمود : وجهة نظر ص ٢٢ ، مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٦ ، وأيضاً مكررة بنفس المعنى في كتاب : من زاوية فلسفية ، مقالة « الفكر الفلسفي في مصر المعاصرة » ص ١٥ .

وانظر أيضاً عباس محمود العقاد « التفكير فريضة إسلامية » ص ٥ ، دار القلم ، ط ١ ، سنة ١٩٦٢ .

٤٢ - رؤية إسلامية ، مقالة « اقرأ باسم ربك ... » ص ٣٨ .

٤٣ - من هؤلاء الناقدين كان د / محمد البهي مؤلف كتاب « الفكر الإسلامي الحديث ، وصلته بالاستعمار الغربي » حيث خصص فصلاً لنقد كتاب خرافة الميتافيزيقا ووضع له عنوان « الدين خرافة » .

وأيضاً انظر د / زكي نجيب محمود : هموم المثقفين ص ١١٦ .

٤٤ - بذور وجذور ، مقالة « للحرية شيطانها » ص ٢٦٢ .

٤٥ - قصة عقل ، فصل « التجريبية العلمية » ص ١١١ ، ومقدمة كتاب موقف من الميتافيزيقا ص د ، دار الشروق ط ٢ سنة ١٤٠٣ - ١٩٨٣ .

٤٦ - قارن قيم من التراث ، مقالة « الفلسفة شيء والدين شيء آخر » ص ١١٧ ، وموقف من الميتافيزيقا ، المقدمة ص د .

٤٧ - قيم من التراث ، مقالة « الفلسفة شيء والدين شيء آخر » ص ١٢٣ .

٤٨ - عربي بين ثقافتين ، مقالة « العروبة موقف » ص ٦٩ .

٤٩ - المرجع السابق ، مقالة « فكر على فكر » ص ٢٨٩ .

٥٠ - تجديد الفكر العربي ، مقالة « غربة الروح عن أهلها » ص ١٢٦ .

٥١ - رؤية إسلامية ، مقالة « فعل الزمن » ، ص ١٨١ .

٥٢ - قيم من التراث ، مقالة « ذلك دور المسلمين » ص ١٢٥ .

٥٣ - رؤية إسلامية ، مقالة « قنفاذ وتعالب » ص ١٢٧ ، ومقالة « فعل الزمن » ص ٢٦٨ ، وأيضاً قيم

- من التراث ، مقالة « نعم إسلامنا يكفيننا ، ولكن كيف ؟ » ص ١٣٧ .
- ٥٤ - عربى بين ثقافتين ، مقالة « صورة مصغرة » ٤١٤ .
- ٥٥ - قيم من التراث ، مقالة « ذلك دور المسلمين » ص ١٢٨ ، ١٢٩ .
- ٥٦ - المرجع السابق ، مقالة « طالب وطالبة » ص ٢٤٢ .
- ٥٧ - المرجع السابق ، مقالة « اقولها كلمة صدق » ص ١٦٧ .
- ٥٨ - المرجع السابق ، مقالة « نعم إسلامنا يكفيننا ولكن كيف ؟ » ص ١٣٦ .
- ٥٩ - المرجع السابق نفس المقالة ، ص ١٤٢ .
- ٦٠ - المرجع السابق نفس المقالة ، ص ١٤٢ .
- ٦١ - فى تحديث الثقافة العربية ، مقالة « صورة جديدة لأفكار قديمة » ١١١ ، ١١٢ ، وأيضا مقالة « هيكل البناء » ص ٨٤ .
- ٦٢ - المرجع السابق مقالة « صورة جديدة لأفكار قديمة » ص ١٢٢ - ١٢٣ .
- ٦٣ - هموم المثقفين مقالة « أزمة المثقف العربى » ص ٢٨ .
- ٦٤ - فى تحديث الثقافة العربية ، مقالة « صورة جديدة لأفكار قديمة » ص ١٢٤ .
- ٦٥ - المرجع السابق ، مقالة « لك الله يا علوم الإنسان » ص ٢١٦ .
- ٦٦ - المرجع السابق نفس المقالة ص ٢٢٣ .
- ٦٧ - المرجع السابق ، مقالة « تلخيص التلخيص » ص ٥٢٠ .
- ٦٨ - هذا العصر وثقافته ، مقالة « وكذب بطن أخيك » ص ٩٥ .
- ٦٩ - المرجع السابق نفس المقالة ص ٩٦ .
- ٧٠ - فى تحديث الثقافة العربية ، مقالة « لك الله يا علوم الإنسان » ص ٢٢٥ .
- ٧١ - المرجع السابق ، مقالة « تلخيص التلخيص » ص ٥٢٠ .
- ٧٢ - المرجع السابق ، مقالة « لك الله يا علوم الإنسان » ص ٢٢٨ .
- ٧٣ - المرجع السابق ، مقالة « تلخيص التلخيص » ص ٥٢٣ - ٥٢٤ .
- ٧٤ - عربى بين ثقافتين ، مقالة « من مواطن الضعف » ص ١٨٨ .
- ٧٥ - رؤية إسلامية ، مقالة « يموت الإنسان ليحيا » ص ١٠٣ .
- ٧٦ - بذور وجذور ، مقالة « من ذا يزيع الضباب » ص ١٥٥ .
- ٧٧ - رؤية إسلامية ، مقالة « يموت الإنسان ليحيا » ص ١٠٤ .
- ٧٨ - المرجع السابق نفس المقالة والصفحة .

- ٧٩ - بذور وجذور ، مقالة « للحرية شيطانها » ص ٢٦١ .
- ٨٠ - نفس المرجع والمقال والصفحة .
- ٨١ - هذا العصر وثقافته ، مقالة « وكذب بطن اخيك » ص ٩٦ .
- ٨٢ - بذور وجذور ، مقالة « للحرية شيطانها » ص ٢٦٠ .
- ٨٣ - رؤية إسلامية ، مقالة « أنا المسجد الساجد » ص ٢٦ ، ٢٧ .
- ٨٤ - المرجع السابق نفس المقالة ص ٢٨ .
- ٨٥ - بذور وجذور ، مقالة « للحرية شيطانها » ص ٢٦٠ ، ٢٦١ .
- ٨٦ - عربى بين ثقافتين ، مقالة « من إشعاعات التوحيد » ص ٢٥٦ .
- ٨٧ - أفكار ومواقف ، مقالة « هل هما اثنان ؟! » ص ٢٣٦ دار الشروق بيروت سنة ١٩٨٣ ، قيم من التراث ، مقالة « ذلك دور المسلمين ، ص ١٣٢ ، بذور وجذور ، مقالة « وللحرية شيطانها » ص ٢٥٥ ، مجتمع جديد أو الكارثة ، مقالة « الفردية المسئولة » ص ٢٦ .، هذا العصر وثقافته ، مقالة « مسك الختام » ص ٢٨ ، وايضا المعقول واللامعقول فى تراثنا الفكرى ص ١٨ ، دار الشروق .
- ٨٨ - قيم من التراث ، مقالة « نعم إسلامنا يكفيننا ، ولكن كيف ؟ » ص ١٣٧ .
- ٨٩ - فى تحديث الثقافة العربية ، مقالة بعنوان « وصولا إلى حرية وعدالة » ص ٤٣٩ .
- ٩٠ - قيم من التراث مقالة « اقولها كلمة حق » ص ١٧٢ .
- ٩١ - عن الحرية أتحديث ، مقالة « خطاب من مجهول » ص ٢٣٠ ، ٢٣١ ، دار الشروق سنة ١٩٨٦ .
- ٩٢ - أفكار ومواقف ، مقالة « هل هما اثنان ؟! » ص ٢٣٧ .
- ٩٣ - مجتمع جديد أو الكارثة ، مقالة « الفردية المسئولة » ص ٢٧ ، وأيضا « الشرق الفنان » ص ١٣ ، ١٤ .
- ٩٤ - قيم من التراث ، مقالة « مدينة الفكر كثيرة الأبواب » ص ٣٣٧ .
- ٩٥ - تجديد الفكر العربى ، ص ٢٣٦ .
- ٩٦ - قيم من التراث ، مقالة « نعم إسلامنا يكفيننا ، ولكن كيف ؟ » ص ١٤٢ .
- ٩٧ - عن الحرية أتحديث ، مقالة « خطاب من مجهول » ص ٢٣٥ .
- ٩٨ - تجديد الفكر العربى ص ٢٧٢ .
- ٩٩ - عربى بين ثقافتين ، مقالة « العربى بين حاضره وماضيه » ص ١٥٨ .
- ١٠٠ - المرجع السابق ، نفس المقال ص ١٦٣ .
- ١٠١ - هموم المثقفين ، مقالة « عصرنا من فلسفته » ص ٥٣ .

- ١٠٢ - عن الحرية التحدث ، مقالة « إنسانية الإنسان » ص ١٦٨ ، ١٦٩ .
١٠٣ - قيم من التراث ، مقالة « ذلك دور المسلمين » ص ١٣١ .
١٠٤ - عن الحرية التحدث ، مقالة « رهبة المجهول » ، ص ٦٥ ، ٦٦ .
١٠٥ - تجديد الفكر العربى ص ٢٨٥ .



المراجع

مؤلفات الدكتور زكي نجيب محمود :

- ١ - أفكار ومواقف ، دار الشروق بيروت سنة ١٩٨٣ .
- ٢ - المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري ، دار الشروق ، بيروت (د . ت) .
- ٣ - بذور وجذور دار الشروق ، ط ١ سنة ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .
- ٤ - تجديد الفكر العربي ، دار الشروق ، ط ٢ سنة ١٩٧٣ .
- ٥ - ثقافتنا في مواجهة العصر ، دار الشروق ، ط ١ ، سنة ١٩٧٦ .
- ٦ - رؤية إسلامية ، دار الشروق ، ط ١ ، سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
- ٧ - عربي بين ثقافتين ، دار الشروق ، ط ١ ، سنة ١٤٠١ هـ / ١٩٩٠ م .
- ٨ - عن الحرية اتحدث ، دار الشروق ، بيروت ، سنة ١٩٨٦ .
- ٩ - في تحديث الثقافة العربية ، دار الشروق ، القاهرة ، ط ١ سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
- ١٠ - قصة عقل ، دار الشروق ، ط ١ ، سنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- ١١ - قيم من التراث ، دار الشروق ، سنة ١٩٨٤ .
- ١٢ - مجتمع جديد أو الكارثة ، دار الشروق ، سنة ١٩٨٣ .
- ١٣ - من زاوية فلسفية ، دار الشروق ، ط ٣ سنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- ١٤ - موقف من الميتافيزيقا ، دار الشروق ، ط ٢ ، سنة ١٩٨٣ ، والطبعة الأولى كانت بعنوان (خرافة الميتافيزيقا) ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، سنة ١٩٥٣ .
- ١٥ - هذا العصر وثقافته ، دار الشروق ، سنة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .
- ١٦ - هموم المثقفين ، دار الشروق ، ط ١ ، سنة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
- ١٧ - وجهة نظر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، سنة ١٩٧٦ .

مؤلفات لآخرين :

- ١٨ - ابن رشد ، فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال ضمن كتاب فلسفة ابن رشد ، دار الافاق الجديدة ، بيروت ، سنة ١٩٧٨ م .
- ١٩ - الباقلائي : التمهيد ، تحقيق ريتشارد مكارثي ، بيروت المكتبة الشرقية ، ١٩٥٧ .
- ٢٠ - البهي (د / محمد) : الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، القاهرة مكتبة وهبة ،

- ١٩٥٧ م .
- ٢١ - العراقى (د/ محمد عاطف) : مقالة بعنوان عربى بين ثقافتين ، مجلة المنتدى ، الامارات ١٩٩١ م .
- ٢٢ - الغزالى ، الاقتصاد فى الاعتقاد ، تحقيق حسين آتاي ، انقره ، سنة ١٩٦٢ م .
- ٢٣ - العقاد - (عباس محمد) : التفكير فريضة إسلامية ، دار القلم ، ط ١ ، ١٩٦٢ .
- ٢٤ - حنفى (د / حسن) : التراث والتجديد ، دار التنوير ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٠ .
- ٢٥ - ستيس (وولتر) : الزمان الأزل ، مقالة فى فلسفة الدين ، ترجمة د / زكريا إبراهيم ، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٧ .
- ٢٦ - عبدة (الشيخ الإمام محمد) : رسالة التوحيد ، تحقيق محمود أبو راية ، ط ٥ دار المعارف ١٩٧٧ م .
- ٢٧ - نادر (البير نصرى) : فلسفة المعتزلة ، ح ١ ، الإسكندرية .
- ٢٨ - هيجل : موسوعة العلوم الفلسفية ، ترجمة د/ إمام عبد الفتاح إمام ، دار الثقافة ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٨٥ .

